

تأملات شيخ الإسلام ابن تيمية

في

القرآن الكريم

" سورة الحجر "

رقية محمود الغرايبة

## الفهرس

2	الفهرس
3	الفهرس(2)
7	الحجر1-15
15	الحجر16-50
60	الحجر51-84
76	الحجر85-99

## الفهرس (2)

2 \_\_\_\_\_ الفهرس

### 7 \_\_\_\_\_ الحجر 1-15

- 7 \_\_\_\_\_ أسماء الحروف (فواتح السور)
- 8 \_\_\_\_\_ الكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق
- 9 \_\_\_\_\_ دين الاسلام الذى إرتضاه الله وبعث به رسله
- 9 \_\_\_\_\_ {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ} \_\_\_\_\_
- 9 \_\_\_\_\_ القرآن أفضل الكتب الثلاثة
- 10 \_\_\_\_\_ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ
- 10 \_\_\_\_\_ الله سبحانه و تعالى هو الكفيل بحفظ هذا الدين
- 11 \_\_\_\_\_ حفظ الله للكتاب والشريعة أمر خارق
- 11 \_\_\_\_\_ ذكر الرحمن هو الذى أنزله وهو الكتاب والسنة
- 12 \_\_\_\_\_ العلم الذى بعث الله به نبيه فانه مضبوط ومحروس
- 12 \_\_\_\_\_ القرآن المجيد الذى حفظت ألفاظه في الصدور بالنقل المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب
- 12 \_\_\_\_\_ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق
- 13 \_\_\_\_\_ الرد على احتجاج نصارى نجران بقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ} على التثليث بصيغة الجمع
- 13 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

### 15 \_\_\_\_\_ الحجر 16-50

- 15 \_\_\_\_\_ أضاف الله تعالى كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته
- 16 \_\_\_\_\_ الله تعالى بسط الارض للأنام وأرساها بالجبال
- 16 \_\_\_\_\_ فرق الله سبحانه بالقرآن وبالإيمان بين أمره الدينى وخلق الكونى
- 18 \_\_\_\_\_ الإنسان ينتقل من نقص إلى كمال
- 18 \_\_\_\_\_ الله يتكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت
- 19 \_\_\_\_\_ علق السجود بأن ينفخ فيه من روحه
- 19 \_\_\_\_\_ خلق الشيء من غير جنسه أبلغ في قدرة القادر الخالق
- 19 \_\_\_\_\_ الفارق بين ما يضاف إضافة وصف وإضافة ملك
- 21 \_\_\_\_\_ اضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف
- 24 \_\_\_\_\_ الإيمان بصفات الله تعالى وأسمانه
- 25 \_\_\_\_\_ المعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله كان عذابا على صاحبه

- 26 يوم الدين يوم يدين العباد بأعمالهم
- 27 الغي خلاف الرشد وهو إتباع الهوى
- 28 الغي يضعف الإخلاص ويقوي الهوى والشرك
- 29 الإنسان إما عابد لله أو عابد للشيطان
- 29 كل من أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه
- 30 كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله
- 31 العبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها
- 31 بين الله أن عباده هم الذين ينجون من السيئات
- 32 من استغفر وتاب كان آدمياً سعيداً ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسياً شقياً
- 34 القدريّة الإبلّيسية
- 35 من تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس
- 36 الشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين
- 37 الإخلاص ينفى أسباب دخول النار
- 39 أئمة أهل البدع أضروا على الأمة من أهل الذنوب
- 40 النية أصل جميع الأعمال
- 41 قلب الإيمان
- 42 سبيل الحق والهدى هو الذي يسعد أصحابه وينالون به ولاية الله
- 46 محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده
- 47 عباده هم الذين عبده بما أمرت به رسله
- 47 ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذي هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم
- 48 الشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان
- 49 صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه
- 50 أصل الشر عبادة النفس والشيطان
- 51 الوعد بالجنة علق باسم الإيمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح
- 51 التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله وأن تترك معصية الله على نور من الله
- 52 الرد على استدلال الرافضي بقوله تعالى { إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } على إمامة علي
- 54 البلاغة بلوغ غاية المطلوب من المعاني بأتم ما يكون من البيان
- 55 الله سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء
- 55 الشر لم يرد في أسماء الله وإنما ورد في مفعولاته
- 56 لطائف لغوية

- 60 إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون
- 61 أسماء الله وصفاته مختصة به لا يشركه فيها غيره
- 61 البشارة باسحق كانت معجزة
- 62 قول القلب وعمله هو الأصل
- 63 آل الشخص هم من يؤوله ويؤول إليه ويرجع إليه
- 63 توعده الله بالعذاب الأليم على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة
- 64 التقوى ان تعمل بطاعة الله ترضو رحمة الله وأن تترك معصية الله تخاف عذاب الله
- 65 العبادة والتقوى لله
- 65 محبة الفواحش مرض في القلب
- 66 عقوبة أهل الفواحش الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم
- 67 الفائدة من غض البصر فهو نور القلب والفراسة
- 68 {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ}
- 69 سنة الله سبحانه فيمن خالف رسله واتبع غير سبيلهم
- 70 من آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم
- 71 اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
- 73 مكذبون لجنس الرسل
- 74 لطائف لغوية

## 76 الحبر 85-99

- 76 الله سبحانه في كل ما خلقه حكمة يحبها ويرضاها
- 78 أن الله لم يخلق شيئا ما إلا لحكمة فلا يكون في المخلوقات شر محض
- 79 لا بد من الجزاء على الأعمال بالثواب والعقاب وقيام القيامة
- 79 ذكر الله تعالى في القرآن الصفح الجميل والصبر الجميل والهجر الجميل
- 80 القرآن العظيم له إختصاص بهذا الوصف
- 80 أفضل سورة في القرآن
- 80 الله تعالى يعظم ما هو عظيم اما لعظمة سببه او لعظمته
- 81 من نظر على وجه استحسان الدنيا والرياسة والمال فهو مذموم
- 82 النهي عن الحزن على الكفار والرغبة فيما عندهم
- 83 الحزن لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة
- 83 الرسول امر بخفض جناحه وهو جانبه والولد امر بخفض جناحه ذلا
- 84 {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ}
- 84 "خصلتان يسأل عنهما كل أحد"

- 85 \_\_\_\_\_ يقسم الله سبحانه بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته
- 85 \_\_\_\_\_ القول يجعل قسيما للفعل تارة وقسما منه أخرى
- 86 \_\_\_\_\_ ما امر الله به المؤمنين بالعفو والصفح عن المشركين فانه نسخ ذلك بنزول براءة
- 87 \_\_\_\_\_ بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستتصال
- 87 \_\_\_\_\_ كان الله سبحانه يحميه ويصرف عنه اذى الناس وشتهم بكل طريق
- 88 \_\_\_\_\_ في كفاية الله له أعداءه وعصمته له من الناس آية لنبوته
- 89 \_\_\_\_\_ {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}
- 90 \_\_\_\_\_ أعظم عون لولى الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة امور
- 90 \_\_\_\_\_ التسبيح يقتضى التنزيه والتعظيم
- 91 \_\_\_\_\_ "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن"
- 92 \_\_\_\_\_ العبادة إذا سميت ما يفعل فيها دل على أنه واجب فيها
- 92 \_\_\_\_\_ الصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال
- 94 \_\_\_\_\_ الغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم
- 94 \_\_\_\_\_ العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
- 95 \_\_\_\_\_ من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة
- 97 \_\_\_\_\_ في إلحاد جهمية الصوفية والقرامطة من الكفر ما ليس في دين اليهود والنصارى ومشركي العرب
- 97 \_\_\_\_\_ القرآن بين النعيم والعذاب في البرزخ
- 98 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

## ~ §§ الحجر (مكية) 99 §§ ~

### الحجر 1-15

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ {1} رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا  
مُسْلِمِينَ {2} ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَمُهُمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {3} وَمَا أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ {4} مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {5}  
وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ {6} لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ  
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {7} مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ {8} إِنَّا  
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْبِ  
الْأَوَّلِينَ {10} وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {11} كَذَلِكَ نَسُكُّهُ  
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ {12} لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ {13} وَلَوْ فَتَحْنَا  
عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ {14} لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ  
نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ {15}

### أسماء الحروف (فواتح السور)

قال تعالى {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} {الحجر 1} ليس في القرآن من حروف الهجاء التي هي أسماء الحروف إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف أجناس الحروف نصف المجهورة والمهموسة والمستعلية والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف وهو أشرف النصفين والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني التي ليست باسم ولا فعل فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة في القرآن لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن بل قد اجتمعت في آيتين إحداهما في آل عمران والثانية في سورة الفتح {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً} آل عمران 154 الآية و {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} الفتح 29 الآية<sup>1</sup>

أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس و على هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاماً تاماً من الجمل الإسمية والفعلية وإنما هي أسماء موقوفة ولهذا لم تعرب فإن الأعراب إنما يكون بعد العقد والتركيب وإنما نطق بها موقوفة كما يقال أ ب ت ث ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الإسم الذي ينطق به فإنها في النطق أسماء ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا زاً قال نطقتم بالإسم وإنما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ أسماء وفي الخط حروف مقطعة ألم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف و الح لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتناول الذي يسميه النحاة أسماً و فعلاً و حرفاً و لهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام

<sup>1</sup> - مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 448-449

إسم و فعل و حرف جاء لمعنى ليس بإسم و لا فعل فإنه لما كان معروفا من اللغة أن الإسم حرف و الفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى ليس بإسم و لا فعل و هذه حروف المعانى التى يتألف منها الكلام و أما حروف الهجاء فتلك إنما تكتب على صورة الحرف المجرد و ينطق بها غير معربة و لا يقال فيها معرب و لا مبنى لأن ذلك إنما يقال في المؤلف فإذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ثم يقال هذه الحروف قد تكلم فى معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معروفا و هي المتشابه كان ما سواها معلوم المعنى و هذا المطلوب و أيضا فإن الله تعالى قال { مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَاتٌ } آل عمران7 و هذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء و إنما يعدها آيات الكوفيون و سبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه و لكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء<sup>1</sup>

وأما جمهور الأمة وأهل الحديث والفقه والتصوف فعلى ما جاءت به الرسل وما جاء عنهم من الكتب والآثار من العلم وهم المتبعون للرسالة اتباعا محضا لم يشوبوه بما يخالفه من مقالة الصابئين وهو أن القرآن كلام الله لا يجعلون بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله والقرآن هو القرآن الذى يعلم المسلمون أنه القرآن حروفه ومعانيه والأمر والنهى هو اللفظ والمعنى جميعا ولهذا كان الفقهاء المصنفون فى أصول الفقه من جميع الطوائف الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية إذا لم يخرجوا عن مذاهب الأئمة والفقهاء إذا تكلموا فى الأمر والنهى ذكروا ذلك وخالفوا من قال إن الأمر هو المعنى المجرد ويعلم أهل الآثار النبوية أهل السنة والحديث عامة المسلمين الذين هم جماهير أهل القبلة أن قوله تعالى {الم} {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ {2} البقرة 1-2 ونحو ذلك هو كلام الله لا كلام غيره وكلام الله هو ما تكلم به لا ما خلقه فى غيره ولم يتكلم به<sup>2</sup>

## الكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق

قال تعالى {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} {الحجر 1} أنه لما أنزل قوله ذلك الكتاب وتلك آيات الكتاب ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل تلك الساعة وإنما كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي يشار إليه كما يشار إلى الحاضر وتلك في المؤنث مثل ذلك في المذكر ومع هذا فأشار إلى القرآن كما قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} {الأنبياء 50} ولهذا قال غير واحد من السلف ذلك الكتاب أي هذا الكتاب يقولون المراد هذا الكتاب وإن كانت الإشارة تكون تارة إشارة غائب وتارة إشارة حاضر<sup>3</sup>

قال تعالى {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} {الحجر 1} والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلاية أو بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ} {الحجر 1} وقال {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ} {النمل 1} وقال {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} {الأحقاف 29} الى قوله تعالى {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} {الأحقاف 30} فبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ} {21} فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ {22} {البروج 21-22} وقال {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

<sup>1</sup> - مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 420-421 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 411 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص:

<sup>2</sup> - مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 36

<sup>3</sup> الجواب الصحيح ج: 2 ص: 275



كريم {77} في كتاب مكنون {78} الواقعة 77-78 وقال { يثلو صُحُفًا مُطَهَّرَةً } {2} { فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ } {3} {البينة 2-3} وقال { وَالطُّورِ } {1} { وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ } {2} { فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ } {3} { الطور 1-3} وقال { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ } {الأنعام 7} ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} { فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ } {78} الواقعة 77-78 وقال { وَخَرَجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا } {الإسراء 13} <sup>1</sup>

## دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله

قال تعالى { رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {الحجر 2} أن الاسلام دين و الدين مصدر دان يدين ديناً اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده و عبد معه الها آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً والاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح <sup>2</sup>

## { ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ }

قال تعالى { ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ } {الحجر 3} (ناقص ن م) أن هذه الأمر فيها من التمتع باللذة والسرور في الدنيا ما لا نزاع فيه ولهذا قال تعالى { ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ } {غافر 75} وقال تعالى { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا } {الأحقاف 20} وقال تعالى { وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النُّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا } {المزم 11} وقال تعالى { ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ } {الحجر 3} وقال تعالى { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ } آل عمران 185 وهذا أمر محسوس <sup>3</sup>

{الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ } {1} { رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } {2} { ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } {3} { وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ } {4} { مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ } {5} { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } {6} { لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } {7} { مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ } {8} {الحجر 1-8}

## القرآن أفضل الكتب الثلاثة

قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } {الحجر 9} فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة قال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } {المائدة 48} وقال تعالى { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } {الإسراء 88} وقال تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 125

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 271

<sup>3</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 162

مَتَّانِي تَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ { الزمر 23 فأخبر أنه أحسن الحديث فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة<sup>1</sup>

## ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ

فإن الله ضمن لنا أن يحفظ الذكر الذي أنزله كما قال { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** } الحجر 9 فما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ<sup>2</sup>

## الله سبحانه و تعالى هو الكفيل بحفظ هذا الدين

أن قولنا رواه البخاري و مسلم علامة لنا على ثبوت صحته لا أنه كان صحيحا بمجرد رواية البخاري و مسلم بل أحاديث البخاري و مسلم رواها غيرهما من العلماء و المحدثين من لا يحصي عدده إلا الله و لم ينفرد واحد منهما بحديث بل ما من حديث إلا و قد رواه قبل زمانه و في زمانه و بعد زمانه طوائف و لو لم يخلق البخاري و مسلم لم ينقص من الدين شيء و كانت تلك الأحاديث موجوده بأسانيد يحصل بها المقصود و فوق المقصود و أما قولنا رواه البخاري و مسلم كقولنا قراه القراء السبعة و القرآن منقول بالتواتر لم يختص هؤلاء السبعة بنقل شيء منه و كذلك التصحيح لم يقلد أئمة الحديث فيه البخاري و مسلما بل جمهور ما صححاه كان قبلهما عند أئمة الحديث صحيحا متلقي بالقبول و كذلك في عصرهما و كذلك بعدهما قد نظر أئمة هذا الفن في كتابيهما و وافقوهما على تصحيح ما صححاه إلا مواضع يسيرة نحو عشرين حديثا غالبا في مسلم أنتقدها عليهما طائفة من الحفاظ و هذه المواد المنتقدة غالبا في مسلم و قد أنتصر طائفة لهما فيها و طائف قررت قول المنتقدة و الصحيح التفصيل فإن فيها مواضع منتقدة بلا ريب مثل حديث أم حبيبة و حديث خلق الله البرية يوم السبت و حديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات و أكثر و فيها مواضع لا انتقاد فيها في البخاري فإنه ابعث الكتابين عن الانتقاد و لا يكاد يروي لفظا فيه انتقاد إلا ويروي اللفظ الآخر الذي يبين أنه منتقد فما في كتابه لفظ منتقد إلا و في كتابه ما يبين أنه منتقد و في الجملة من نقد سبعة آلاف درهم فلم يرج عليه فيها إلا دراهم يسيرة و مع هذا فهي مغيرة ليست مغشوشة محضة فهذا إمام في صنعته و الكتابان سبعة آلاف حديث و كسر و المقصود أن أحاديثهما أنتقدها الأئمة الجهابذة قبلهم بعدهم و رواها خلئق لا يحصي عددهم إلا الله فلم ينفردا لا برواية و لا بتصحيح و الله سبحانه و تعالى هو الكفيل بحفظ هذا الدين كما قال تعالى { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** } الحجر 9<sup>3</sup>

ان هذا الدين محفوظ كما قال تعالى { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** } الحجر 9 ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق فلم ينله ما نال غيره من الاديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقا لما ينطق الله به القائمين بحجة الله وبياناته الذين يحيون بكتاب الله الموتى و يبصرون بنوره اهل العمى فإن الارض لن تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبياناته<sup>4</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 14

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 171

<sup>3</sup>منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 215- 223

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 131 و منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 451

## حفظ الله للكتاب والشريعة أمر خارق

حفظ الله للكتاب الذي جاء به وإبقائه مئين من السنين مع كثرة الأمة وتفرقها في مشارق الأرض ومغاربها والكتاب بعد هذا محفوظ وكذلك الشريعة محفوظة فهذا أمر خارق خارج عن مقدوره ولم تبق شريعة مثل هذه المدة الطويلة إلا شريعة موسى وإلا فالملوك والفلاسفة لهم نواميس وضعوها لا تبقى إلا مدة يسيرة وأما البقاء مثل هذه المدد مع كون الكتاب محفوظا فليس هذا إلا للأنبياء وأيضا فما جعله الله في القلوب قرنا بعد قرن من المحبة والتعظيم والعلم بعظيم منزلته وعلو درجته من غير مكره يكره القلوب على العلم والمعرفة ومع كمال عقول الناظرين في ذلك<sup>1</sup>

## ذكر الرحمن هو الذي أنزله وهو الكتاب والسنة

فإن الله تعالى أمر المسلمين بالصلاة والزكاة فالصلاة حق الحق في الدنيا والآخرة والزكاة حق الخلق فالرسول أمر الناس بالقيام بحقوق الله وحقوق عباده بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا فالذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد فإن الله تعالى أمر المؤمنين بعبادته والإحسان إلى عباده كما قال تعالى {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ {النساء} 36 وهذا أمر بمعالي الأخلاق وهو سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها وقد روى عنه أنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق رواه الحاكم في صحيحه وقد ثبت عنه في الصحيح صلى الله عليه وسلم أنه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وقال اليد العليا هي المعطية واليد السفلى السائلة وهذا ثابت عنه في الصحيح فأين الإحسان إلى عباده من إيدائهم بالسؤال والشحاذة لهم وأين التوحيد للخالق بالرغبة إليه والرجاء له والتوكل عليه والحب له من الإشراك به بالرغبة إلى المخلوق والرجاء له والتوكل عليه وأن يحب كما يحب الله وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق والذل له والافتقار إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة ونهى عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول قال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ {36} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ {37} حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {38} الزخرف 36-38 وذكر الرحمن هو الذكر الذي أنزل الله على رسوله الذي قال فيه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {الحجر} 9<sup>2</sup>

وذكر الرحمن هو الذي أنزله وهو الكتاب والسنة اللذان قال الله فيهما { وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ {البقرة} 231 وقال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ {آل عمران} 164 وقال تعالى { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

<sup>1</sup>الصفدية ج: 1 ص: 224

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 196 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 84

الْأُمِّيَّيْنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ { الجمعة 2 وهو الذكر الذي قال الله فيه  
{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر 9<sup>1</sup>

## العلم الذي بعث الله به نبيه فانه مضبوط ومحروس

فالعلم الذي بعث الله به نبيه فانه مضبوط ومحروس كما قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }  
{ الحجر 9 وفي الصحاح عنه أنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة<sup>2</sup>

قد تختلف الرواية في النقل عن الأئمة كما يختلف بعض أهل الحديث في النقل عن النبي لكن النبي معصوم فلا يجوز أن يصدر عنه خبران متناقضان في الحقيقة ولا أمران متناقضان في الحقيقة إلا وأحدهما ناسخ والآخر منسوخ وأما غير النبي صلى الله عليه وسلم فليس بمعصوم فيجوز أن يكون قد قال خبرين متناقضين وأمرين متناقضين ولم يشعر بالتناقض لكن إذا كان في المنقول عن النبي ما يحتاج إلى تمييز ومعرفة وقد تختلف الروايات حتى يكون بعضها أرجح من بعض والناقلون لشريعته بالإستدلال بينهم اختلاف كثير لم يستنكر وقوع نحو من هذا في غيره بل هو أولى بذلك لأن الله قد ضمن حفظ الذكر الذي أنزله على رسوله ولم يضمن حفظ ما يؤثر عن غيره لأن ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة هو هدى الله الذي جاء من عند الله وبه يعرف سبيله وهو حجته على عباده فلو وقع فيه ضلال لم يبين لسقطت حجة الله في ذلك وذهب هداه وعميت سبيله إذ ليس بعد هذا النبي نبي آخر ينتظر ليبين للناس ما اختلفوا فيه بل هذا الرسول آخر الرسل وأمه خير الأمم ولهذا لا يزال فيها طائفة قائمة على الحق بإذن الله لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتى تقوم الساعة<sup>3</sup>

## القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور بالنقل المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب

القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور بالنقل المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب كما قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } { الحجر 9 وذلك أن اليهود قبل النبي وعلى عهده وبعده منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها وعندهم نسخ كثيرة من التوراة وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبديلها ولو كان ذلك ممكنا لكان هذا من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها<sup>4</sup>

## هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 452- 453 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص 196

مجموع الفتاوى ج: 1 ص 196

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 517

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 168

<sup>4</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 422

وحفظ الله سبحانه وتعالى للمسلمين الذكر الذي أنزله من الكتاب المكنون كما قال تعالى **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** الحجر 9 فلا يقع في كتابهم من التحريف والتبديل كما وقع من أصحاب التوراة والإنجيل<sup>1</sup>

ولكن هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله كما قال تعالى **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** الحجر 9 فما في تفسير القرآن أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه ويذكر الدليل على غلط الغلط وكذب الكاذب فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي بعد نبيهم بعدهم ولا كتاب بعد كتابهم وكانت الأمم قبلهم إذا بدلوا وغيروا بعث الله نبيا يبين لهم ويأمرهم وينهاهم ولم يكن بعد محمد نبي وقد ضمن الله أن يحفظ ما أنزله من الذكر وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة بل أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن وينفي به تحريف الغالين وانتحال المضلين وتأويل الجاهلين<sup>2</sup>

## الرد على احتجاج نصارى نجران بقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ} على التثليث بصيغة الجمع

و مما احتج به نصارى نجران على النبي انهم احتجوا بقوله تعالى **{إِنَّا نَحْنُ}** الحجر 9 فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع قالوا وهذا يدل على أنهم ثلاثة وكان هذا من المتشابه الذي اتبعوه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وتركوا المحكم المبين الذي لا يحتمل إلا واحدا فإن الله في جميع كتب الإلهية قد بين أنه إله واحد وأنه لا شريك له ولا مثل له وقوله إنا نحن لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى قال تعالى **{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}** المدثر 31 وقال تعالى **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}** الفتح 7 فإذا كان الواحد من الملوك يقول إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين رب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول إنا ونحن مع أنه ليس له شريك ولا مثل بل له جنود السماوات والأرض<sup>3</sup>

**{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِبَعِ الْأَوَّلِينَ {10} وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {11} كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ {12} لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ {13} وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ {14} لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ {15}** الحجر 10-15

## لطائف لغوية

1- وقال تعالى **{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ}** الحجر 4 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 3

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 3 ص: 39

<sup>3</sup>الجواب الصحيح ج: 3 ص: 448

المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً  
 {النحل112 وقوله {وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا بِيَّاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} {4} فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا  
 إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} {5} الأعراف4-5 وقال في آية أخرى {أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ  
 نَائِمُونَ} {الأعراف97 فجعل القرى هم السكان وقال {وَكَايُنَ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ  
 أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} {محمد13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا  
 لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا} {الكهف59 وقال تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} {البقرة259 فهذا  
 المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى  
 وهو الجمع ومنه قولهم قريب الماء فى الحوض اذا جمعت فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد  
 والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا  
 لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقولهُ {وَاسْأَلِ  
 الْقَرْيَةَ} {يوسف82 مثل قوله {قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً} {النحل112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير  
 اضمار ولا حذف<sup>1</sup>

2-قال تعالى {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} {الحجر6} و ذكر الله يراد به تارة ذكر  
 العبد ربه ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} {الأنبياء50} وقال نوح  
 {أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ} {الأعراف63} وقال {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ  
 الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} {الحجر6} وقال {مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ} {الأنبياء2} وقال {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ  
 لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} {الزخرف44} وقال {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} {27} لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} {28} التكوير 27-28  
 وقال {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} {يس69}<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 561-562

## الحجر 16-50

{ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ {16} وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ {17} إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ {18} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ {19} وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ {20} وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ {21} وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ {22} وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنَمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ {23} وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ {24} وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {25} وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَآءٍ مَّسْنُونٍ {26} وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ {27} وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَآءٍ مَّسْنُونٍ {28} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {29} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {30} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {31} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {32} قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَآءٍ مَّسْنُونٍ {33} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَاتَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ {36} قَالَ فَاتَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {37} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38} قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ {44} إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {45} ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ {46} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ {47} لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ {48} نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {49} وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ {50}

### أضاف الله تعالى كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته

قال تعالى { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ {16} وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ {17} إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ {18} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ {19} وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ {20} وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ {21} وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ {22} وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنَمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ {23} } الحجر 19-23 وأما على قول جمهور أهل السنة الذين يقولون إنها مفعولة للرب لا

فعل له إذا فعله ما قام به والفعل عندهم غير المفعول فيقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له وإنما فعل للعبد كما يقولون في قدرة العبد إنها قدرة للعبد مقدورة للرب لا أنها نفس قدرة الرب وكذلك إرادة العبد هي إرادة للعبد مرادة للرب وكذلك سائر صفات العبد هي صفات له وهي مفعولة للرب مخلوقة له ليست بصفات له ومما يبين ذلك أن الله تعالى قد أضاف كثيراً من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته إما أن يضيف عينه أو نظيره كقوله تعالى {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} {الزمر 42} وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} {الأنعام 60} مع قوله تعالى {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} {السجدة 11} وقوله {تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ} {الأنعام 61} وقال {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} {الحج 5} فأضاف النباتات إليها وقال تعالى {وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} {الحجر 19} وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} {10} {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} {11} {النحل 10-11} <sup>1</sup>

## الله تعالى بسط الارض للأنام وأرساها بالجبال

وقال تعالى {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} {19} {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} {20} {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} {21} {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} {22} {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} {23} {الحجر 19-23} والارض يحيط بالماء بأكثرها والهواء يحيط بالماء والارض والله تعالى بسط الارض للأنام وأرساها بالجبال لئلا تميد كما ترسى السفينة بالاجسام الثقيلة اذا كثرت امواج البحر والا مادت والله تعالى {يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} {فاطر 41} والمخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته سبحانه وما جعل فيها من الطبايع والقوى فهو كائن بقدرته ومشيبته سبحانه <sup>2</sup>

## فرق الله سبحانه بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني وخلق الكوني

قال تعالى {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} {19} {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} {20} {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} {21} {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} {22} {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} {23} {الحجر 19-23} إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني وخلق الكوني فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه سواء في ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء الا بمشيئته وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام

<sup>1</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 242

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 596



بكلماته الكونية وبين من اتبع كلماته الدينية وذلك فى أمره وإرادته وقضائه وحكمه وإذنه وبعثه وارساله فقال فى الحكم الدينى {أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} المائدة 50 وقال فى الحكم الكونى {فَأَنْ أْبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِى أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يوسف 80 وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة فى مسألة الأمر الشرعى هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدرية وإن كان مستلزماً للإرادة الدينية الشرعية وقد يجمع الحكمين مثل ما فى قوله {إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ} يوسف 40 وقال فى الإرسالين {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} الفتح 8 {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} الحديد 25 وقد قال {أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوَزَّهُمْ آزَافاً} مريم 83 وقال {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ} **لِوَأَقِحِ {الحجر 22} 1**

الإرادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحرير وغيرها كالأمر والبعث والأرسال ينقسم فى كتاب الله إلى نوعين أحدهما ما يتعلق بالأمر الدينية التى يحبها الله تعالى ويرضاها ويثيب أصحابها ويدخلهم الجنة وينصرهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين والثانى ما يتعلق بالحوادث الكونية التى قدرها الله وقضاها مما يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر وأهل الجنة وأهل النار وأولياء الله وأعداؤه وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه ويصلى عليهم هو وملائكته وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم اللاعنون فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته مقهورة بحكمته فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ورأى أنه سبحانه رب كل شىء ومليكه له الخلق والأمر وكل ما سواه مربوباً له مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات والله غنى عنه كما أنه الغنى عن جميع المخلوقات وهذا الشهود فى نفسه حق لكن طائفة قصرت عنه وهم القدرية المجوسية وطائفة وقفت عنده وهم القدرية المشركية أما الأولون فهم الذين زعموا أن فى المخلوقات ما لا تتعلق به قدرة الله ومشيئته و خلقه كأفعال العباد و غلاتهم أنكروا علمه القديم و كتابه السابق و هؤلاء هم أول من حدث من القدرية فى هذه الأمة فرد عليهم الصحابة و سلف الأمة و تبرؤوا منهم و أما الطائفة الثانية فهم شر منهم و هم طوائف من أهل السلوك و الإرادة و التأله و التصوف و الفقر و نحوهم يشهدون هذه الحقيقة و رأوا أن الله خالق المخلوقات كلها فهو خالق أفعال العباد و مريد جميع الكائنات و لم يميزوا بعد ذلك بين إيمان و كفر و لا عرفان و لا نكر و لاحق و لا باطل و لا مهتدى و لا ضال و لا راشد و لا غوي و لا نبى و لا متبىء و لا ولي الله و لا عدو و لا مرضى لله و لا مسخوط و لا محبوب لله و لا ممقوت و لا بين العدل و الظلم و لا بين البر و العقوق و لا بين أعمال أهل الجنة و أعمال أهل النار و لا بين الأبرار و الفجار حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات من القضاء السابق و المشيئة النافذة و القدرة الشاملة و الخلق العام فشهدوا المشترك بين المخلوقات و عموا عن الفارق بينهما و صاروا ممن يخاطب بقوله تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} 35 { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} 36 { القلم 35-36 } و بقوله تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ} ص 28 و بقوله تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية 21 { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} الأعراف 137 و منه قول النبى صلى الله عليه و سلم أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يتجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ و من شر ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و من شر ما ذرأ فى الأرض و ما يخرج منها و من شر فتن الليل و النهار و من شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن فالكلمات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ليست هى أمره و نهيه الشرعيين فإن الفجار عصوا أمره و نهيه بل هى التى بها يكون الكائنات و أما الكلمات الدينية المتضمنة لأمره و نهيه الشرعيين فمثل الكتب الإلهية التوراة و الأنجيل و الزبور و القرآن وقال تعالى { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} التوبة 40 وقال صلى الله عليه و سلم و استحلتم فروجهن بكلمة الله و

أما قوله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام115} فإنه يعم النوعين وأما الإرسال بالمعنى الأول ففي مثل قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا} {مريم83} وقوله تعالى {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ} {الحجر22} وبالمعنى الثاني في مثل قوله تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} {نوح1} وقوله تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} {البقرة119} وقوله تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} {الزخرف45} وقوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء25} وقوله تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} {15} {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبَيلاً} {16} {المزمل15-16} <sup>1</sup>

## الإنسان ينتقل من نقص إلى كمال

قال تعالى {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} {23} {وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ} {24} {وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْسُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} {25} {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} {26} {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ} {27} {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} {28} {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} {29} {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} {30} {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} {31} {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} {32} {قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} {33} {الحجر23-33} والإنسان ينتقل من نقص إلى كمال فلا ينظر إلى نقص البداية ولكن ينظر إلى كمال النهاية فلا يعاب الإنسان بكونه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة إذا كان الله بعد ذلك خلقه في أحسن تقويم ومن نظر إلى ما كان فهو من جنس إبليس الذي قال {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} {ص76} وقد قال تعالى {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} {71} {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} {72} {ص71-72} فأمرهم بالسجود له إكراما لما شرفه الله بنفخ الروح فيه وإن كان مخلوقا من طين والملائكة مخلوقون من نور وإبليس مخلوق من نار كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم <sup>2</sup>

## الله يتكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت

قال تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} {28} {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} {29} {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} {30} {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} {31} {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} {32} {قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} {33} {الحجر28-33} أن الكلام معانيه وحروفه تنقسم إلى خبر وإنشاء والإنشاء منه الطلب والطلب ينقسم إلى أمر ونهي وحقيقة الطلب غير حقيقة الخبر فكيف لا تكون هذه أقسام الكلام وأنواعه بل هو موصوف بها كلها وأيضا فالله تعالى يخبر أنه لما أتى موسى الشجرة ناداه فناداه في ذلك الوقت لم يناده في الأزل وكذلك قال {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} {الأعراف11} وقال {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 59-61

<sup>2</sup>منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 430

ثُرَابٍ ثَمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ { آل عمران 59 } وقال { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ { البقرة 30 إلى مواضع كثيرة من القرآن تبين أنه تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت فكيف يكون أزلياً أبدياً ما زال ولا يزال وكيف يكون لم يزل ولا يزال قائلاً { يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا } { هود 48 } يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا { آل عمران 55 } يَا مُوسَى { طه 11 } إني أنا الله لا إله إلا أنا { طه 14 } يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ { 1 } فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا { 2 } { المزمّل 1- 2 }<sup>1</sup>

## علق السجود بأن ينفخ فيه من روحه

قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ { 28 } فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ { 29 } الحجر 28-29 } ان ادم وإن كان مخلوقاً من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به فلماذا قال { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } ص 72 الحجر 29 فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لا بليس مثله<sup>2</sup>

## خلق الشيء من غير جنسه أبلغ في قدرة القادر الخالق

وخلق الشيء من غير جنسه أبلغ في قدرة القادر الخالق سبحانه وتعالى ولهذا قال للملائكة { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ { 28 } فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ { 29 } فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ { 30 } ولهذا امتنع اللعين كما قال تعالى { إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ { 31 } قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ { 32 } الحجر 28-32 } وقال { قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ { 33 } قَالَ فَخَرُّ مِنْهَا فَاتَكَ رَجِيمٌ { 34 } وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ { 35 } الحجر 33-35 } وأيضا فكون الشيء مخلوقاً من مادة وعنصر أبلغ في العبودية من كونه خلقاً لا من شيء وأبعد عن مشابهة الربوبية فإن الرب هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فليس له أصل وجد منه ولا فرع يحصل عنه فاذا كان المخلوق له أصل وجد منه كان بمنزلة الولد له وإذا خلق له شيء آخر كان بمنزلة الوالد وإذا كان والداً ومولوداً كان أبعد عن مشابهة الربوبية والصمدية فانه خرج من غيره ويخرج منه غيره لا سيما إذا كانت المادة التي خلق منها مهينة كما قال تعالى { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ { المرسلات 20 }<sup>3</sup>

## الفارق بين ما يضاف إضافة وصف وإضافة ملك

قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ { 28 } فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ { 29 } فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ { 30 } إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ { 31 } الحجر 28-31 } وقال تعالى { فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا { 17 } قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا { 18 } قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا { 19 } مريم 17-19 } وفي القراءة الأخرى ليهب لك غلاماً زكياً فأخبر أنه رسوله وروحه وأنه تمثل لها بشراً وأنه ذكر أنه رسول الله إليها فعلم أن روحه مخلوق مملوك له ليس المراد حياته التي هي صفته سبحانه وتعالى وكذلك قوله ( فَتَقَفْنَا

<sup>1</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 418

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 6

<sup>3</sup> النبوات ج: 1 ص: 65

فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) التحريم12 وهو مثل قوله في آدم عليه السلام {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} الحجر29 وقد شبه المسيح بآدم في قوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} آل عمران59 والشبهة في هذا نشأت عند بعض الجهال من أن الإنسان إذا قال روجي فروحه في هذا الباب هي الروح التي في البدن وهي عين قائمة بنفسها وإن كان من الناس من يعني بها الحياة والإنسان مؤلف من بدن وروح وهي عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين وأئمتهم وجماهير الأمم والرب تعالى منزه عن هذا وأنه ليس مركبا من بدن وروح ولا يجوز أن يراد بروحه ما يريد الإنسان بقوله روجي بل تضاف إليه ملائكته وما ينزله على أنبيائه من الوحي والهدى والتأييد ونحو ذلك<sup>1</sup>

قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }28 {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}29 { فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ }30 { إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ }31 الحجر28-31 و أصل النفاة المعطلة من الجهمية و المعتزلة أنهم يصفون الله بما لم يقم به بل بما قام بغيره أو بما لم يوجد و يقولون هذه إضافات لا صفات فيقولون هو رحيم ويرحم والرحمة لا تقوم به بل هي مخلوقة و هي نعمته و يقولون هو يرضي و يغضب و الرضا و الغضب لا يقوم به بل هو مخلوق قائم بغيره وقد يقولون هو مرید ويريد ثم قد يقولون ليست الإرادة شيئا موجودا و قد يقولون إنها هي المخلوقات و الأمر المخلوق و قد يقولون أحدث إرادة لا في محل و هذا الأصل الباطل الذي أصله نفاة الصفات الجهمية المحضة من المعتزلة و غيرهم هو الذي فارقهم به جميع المثبتة للصفات من السلف و الأئمة و أهل الفقه والحديث و التصوف و التفسير و أصناف نظار المثبتة كالكلائية و من إتبعهم من الأشعرية و غيرهم و كالهشامية و الكرامية و غيرهما من طوائف النظار المثبتة للصفات و على هذا أئمة المسلمين المشهورون بالإمامة و أئمة الفقهاء من أتباعهم من أصحاب مالك و الشافعي و أحمد و أبي حنيفة و غيرهم فقول من قال إن الكلام يقع حقيقة على العبارة وهي مع ذلك مخلوقة يناقض الأصل الفارق بين المثبتة والمعطلة إلا أن يسمى متعلق الصفة بإسم الصفة كما يسمى المأمور به أمرا والمرحوم به رحمة والمخلوق خلقا والقدر قدرة والمعلوم علما لكن يقال له هذا كله ليس هو الحقيقة عند الإطلاق وأيضا فهذه الأمور اعيان قائمة بأنفسها فإذا أضيفت إلى اله علم أنها إضافة ملك لا إضافة وصف بخلاف العبارة فإنها لا تقوم بنفسها كما لا يقوم المعنى بنفسه وهذا هو الأصل الفارق بين إضافة الصفات وإضافة المخلوقات فإن المعطلة النفاة من الصابئة و الفلاسفة و المعتزلة و غيرهم من الجهمية و من إتبعهم كابن عقيل و ابن الجوزي و غيرهما في بعض مصنفاتهما و إن كانا في موضع آخر يقولان بخلاف ذلك و يقولون ليس في النصوص إلا إضافة هذه الأمور إلى الله و هذه الأمور تسمى نصوص الإضافات لا نصوص الصفات و يقولون نصوص الإضافات و أحاديث الإضافات لا آيات الصفات و أحاديث الصفات و الإضافة تكون إضافة مخلوق لإختصاصه ببعض الوجوه كإضافة البيت و الناقة و الروح في قوله { وَطَهَّرَ بَيْتِي } الحج26 و قوله { نَاقَةُ اللَّهِ } الأعراف73 و قوله { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } مريم17 وقالت الحلولية من النصاري و غلاة الشيعة و الصوفية و من اتبعهم ممن يقول بقدر الروح أرواح العباد وينتسب إلى أئمة المسلمين كالشافعي و أحمد و غيرهما مثل طائفة من أهل جيلان و غيرهم بل إضافة الروح إلى الله كإضافة الكلام و القدرة و الكلام و القدرة و صفاته فكذلك الروح و قالوا في قوله {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} الحجر29 دليل على أن روح العبد صفة لله قديمة وقالت النصاري عيسى كلمة الله و كلام الله غير مخلوق فعيسى غير مخلوق وقالت الصابئة و الجهمية عيسى كلمة الله وهو مخلوق و القرآن كلام الله فهو أيضا مخلوق وهذه المواضع إشتبهت على كثير من الناس و قد تكلم فيها الأئمة كأحمد بن حنبل و غيره و تكلموا في إضافة الكلام و الروح و مناظرة الجهمية و النصاري و قد سئلت عن ذلك من جهة الحلولية تارة و من جهة المعطلة تارة و السائلون تارة من أهل القبله و تارة من غير أهلها و قد بسط جواب ذلك في غير موضع لكن المقصود هنا أن الفارق بين المضافين أن المضاف إن كان شيئا قائما بنفسه أو حالا في ذلك القائم بنفسه فهذا لا يكون صفة لله لأن الصفة قائمة بالموصوف فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها و صفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات لله

فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة لكن أضيفت لنوع من الإختصاص المقتضي للإضافة لا لكونها صفة و الروح الذي هو جبريل من هذا الباب كما أن الكعبة و الناقة من هذا الباب و مال الله من هذا الباب و روح بنى آدم من هذا و ذلك كقوله { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } مريم 17 { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي } الحجر 29 { وَطَهَّرَ بَيْتِي } الحج 26 { نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا } الشمس 13 { مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ } الحشر 7 و أما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه بل لا يكون إلا صفة كالعلم و القدرة و الكلام و الرضا و الغضب فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه فإذا قيل أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك فعلمه صفة قائمة به و قدرته صفة قائمة به و كذلك إذا قيل أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك فرضاه و سخطه قائم به و كذلك عفوه و عقوبته و أما أثر ذلك و هو ما يحصل للعبد من النعمة و إندفاع النقمة فذاك مخلوق منفصل عنه ليس صفة له و قد يسمى هذا بإسم ذاك كما في الحديث الصحيح يقول الله للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي فالرحمة هنا عين قائمة بنفسها لا يمكن أن تكون صفة لغيرها فهذا هو الفارق بين ما يضاف إضافة و صف و إضافة ملك و إذا قيل المسيح كلمة الله فمعناه أنه مخلوق بالكلمة إذ المسيح نفسه ليس كلاما و هذا بخلاف القرآن فإنه نفسه كلام و الكلام لا يقوم بنفسه إلا بالمتكلم فإضافته إلى المتكلم إضافة صفة إلى موصوفها و إن كان يتكلم بقدرته و مشيئته و إن سمي فعلا بهذا الإعتبار فهو صفة بإعتبار قيامه بالمتكلم<sup>1</sup>

## إضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف

قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ } 28 { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } 29 { فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } 30 { إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ } 31 الحجر 28-31 و الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه وهي النفس التي تفارقه بالموت قال النبي لما نام عن الصلاة ان الله قبض ارواحنا حيث شاء و ردها حيث شاء وقال له بلال يا رسول الله أخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك وقال تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } الزمر 42 قال ابن عباس و أكثر المفسرين يقبضها قبضين قبض الموت و قبض النوم ثم في النوم يقبض التي تموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى حتى يأتي أجلها وقت الموت وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا نام باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها و ارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقد ثبت في الصحيح أن الشهداء جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش و ثبت ايضا بأسانيد صحيحة ان الانسان اذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي راضية مرضيا عنك ويقال اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ساخطة مسخوطا عليك وفي الحديث الآخر نسمة المؤمن طائر تعلق من ثمر الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش فسامها نسمة وكذلك في الحديث الصحيح حديث المعراج ان آدم عليه السلام قبل يمينه أسودة وقبل أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى وان جبريل قال للنبي هذه الاسودة نسمة بنيه عن يمينه السعداء وعن يساره الأسسقياء وفي حديث علي و الذي فلق الحبة وبرأ النسمة وفي الحديث الصحيح إن الروح إذا قبض تبعه البصر فقد سمي المقبوض وقت الموت و وقت النوم روحا ونفسا وسمى المعروف به الى السماء روحا ونفسا لكن يسمى باعتبار تدبيره للبدن ويسمى روحا باعتبار لطفه فان لفظ الروح يقتضى اللطف ولهذا تسمى الريح روحا وقال النبي الريح من روح الله اي من الروح التي خلقها الله فإضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف إذ كل ما يضاف إلى الله ان كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له وان كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله فالاول كقوله { نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا } الشمس 13 وقوله { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } مريم 17 وهو جبريل { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } 17 { قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا } 18 { قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } 19 مريم 17-19 وقال

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 149-152

{ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِنِينَ }  
{ التحريم 12 وقال عن آدم { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } الحجر 29 والثاني كقولنا  
علم الله وكلام الله وقدرة الله وحياة الله وامر الله لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علما  
والمقدور قدرة والمأمور به أمرا والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقا كقوله { أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ  
النحل 1 وقوله { إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَتِهِ مَنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ  
{ آل عمران 45 وقوله { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ  
النساء 171 ومن هذا الباب قوله إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة وامسك عنده  
تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الى تلك فرحم بها عباده ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة  
انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي كما قال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكم  
ملؤها ولكن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء  
الداخل فيه ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويده الساري في العروق وهو الذي تسميه الأطباء  
الروح الحيواني فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس ويراد بنفس الشيء ذاته  
وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه وقد قال تعالى { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } المائدة 116 وقال  
{ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 54 وقال تعالى { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } آل عمران 28 وفي الحديث  
الصحيح انه قال لأم المؤمنين لقد قلت بعدك اربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان  
الله زنة عرشه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله مداد كلماته وفي الحديث الصحيح الالهي عن النبي صلى الله  
عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان  
ذكرني في مالا ذكرته في مالا خير منهم فهذه المواضع المراد المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله  
نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات وطائفة من  
الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة انها الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ وقد يراد  
بلفظ النفس الدم يكون في الحيوان كقوله الفقهاء ماله نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة ومنه يقال نفست  
المرأة اذا حاضت ونفست اذا نفسها ولدها ومنه قيل النفساء ومنه قول الشاعر تسيل على حدالطباة نفوسنا  
وليست على غير الظناة تسيل فهذان المعنيان بالنفس ليساهما معنى الروح ويراد بالنفس عند كثير من المتأخرين  
صفات المذمومة فيقال فلان له نفس ويقال اترك نفسك ومنه قول أبي مرثد رأيت رب العزة في المنام فقلت اي  
رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك ومعلوم انه لا يترك ذاته وانما يترك هواها وافعالها المذمومة ومثل هذا  
كثير في الكلام يقال فلان له لسان فلان له يد طويلة فلان له قلب يراد بذلك لسان ناطق ويد عاملة صانعة وقلب حي  
عارف بالحق مرید له قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } ق 37 كذلك النفس  
لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صار لفظ النفس يعبر به عن النفس المتبعة لهواها او عن  
اتباعها الهوى بخلاف لفظ الروح فانها لا يعبر بها عن ذلك اذا كان لفظ الروح ليس هو باعتبار  
تدبيرها للبدن ويقال النفوس ثلاثة انواع وهي النفس الامارة بالسوء التي يغلب عليها اتباع هواها  
بفعل الذنوب والمعاصي و النفس اللوامة وهي التي تذنّب وتتوب فعنها خير وشر لكن اذا فعلت الشر  
تابت وأتابت فتسمى لوامة لانها تلوم صاحبها على الذنوب ولانها تتلوم اي تتردد بين الخير والشر النفس  
المطمئنة وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خلقا  
وعاده وملكه فهذه صفات واحوال لذات واحده والافانفس التي لكل انسان هي نفس واحدة وهذا امر يجده الانسان  
من نفسه وقد قال طائفة من المتفلسفة الاطباء ان النفوس ثلاثة نباتية محلها الكبد وحيوانية محلها القلب وناطقة  
محلها الدماغ وهذا ان ارادوا به انها ثلاث قوى تتعلق بهذه الاعضاء فهذا مسلم وان ارادوا انها ثلاثة اعيان قائمة  
بانفسها فهذا غلط بين وأما قول السائل هل لها كيفية تعلم فهذا سؤال مجمل ان اراد انه يعلم ما يعلم من  
صفات واحوالها فهذا مما يعلم وان اراد انها هل هلا مثل من حنس ما يشهده من الأجسام او هل لها من جنس شئ  
من ذلك فان اراد ذلك فليس كذلك فانها ليست من جنس العناصر الماء والهواء والنار والتراب ولا من جنس ابدان  
الحيوان والنبات والمعدن ولا من جنس الأفلاك والكواكب فليس لها نظير مشهود ولا جنس معهود ولهذا يقال انه لا  
يعلم كيفيته ويقال انه من عرف نفسه عرف ربه من جهة الاعتبار ومن جهة المقابلة ومن جهة الامتناع  
فأما الاعتبار فانه يعلم الانسان انه حي عليم قدير سميع بصير متكلم فيتوصل بذلك الى ان يفهم ما اخبر الله به  
عن نفسه من انه حي عليم قدير سميع بصير فانه لو لم يتصور لهذه المعاني من نفسه ونظره اليه لم يمكن ان يفهم  
ما غاب عنه كما انه لو لا تصوره لما في الدنيا من العسل واللبن والماء والخمر والحريير والذهب لما امكنه ان

يتصور ما اخبر به من ذلك من الغيب لكن لا يلزم ان يكون الغيب مثل الشهادة فقد قال ابن عباس رضى الله عنه ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الأسماء فان هذه الحقائق التى اخبر بها انها فى الجنة ليست مماثلة لهذه الموجودات فى الدنيا بحيث يجز على هذه ما يجوز على تلك ويجب لها ما يجب لها ويمتنع عليها وتكون مادتها مادتها وتسحيل استجالتها فإن نعلم ان ماء الجنة لا يفسد ويأسن ولبنها لا يتغير طعمه وخمرها لا يصدع شاربها ولا ينزف عقله فان ماءها ليس نابعا من تراب ولا نازلا من سحب مثل ما فى الدنيا ولبنها من انعام كما فى الدنيا وأمثال ذلك فإذا كان ذلك المخلوق يوافق ذلك المخلوق فى الاسم وبينهما قدر مشترك وتشابه علم به معنى ما خوطبنا به مع ان الحقيقة ليست مثل الحقيقة فالخالق جل جلاله ابعد عن مماثلة مخلوقاته مما فى الجنة لما فى الدنيا فإذا وصف نفسه بأنه حى عليم سميع بصير قدير لم يلزم ان يكون مماثلا لخلقة إذ كان بعدها مماثلة خلقه اعظم من بعد مماثلة كل مخلوق لكل مخلوق وكل واحد من صغار الحيوان لها حياة وقوة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين فكيف يماثل رب العالمين شيئا من المخلوقين فإذا وصف نفسه والله سبحانه وتعالى سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بها بعض المخلوقات فسمى نفسه حيا عليما سميعا بصيرا عزيزا جبارا متكبرا ملكا رؤوفا رحيفا وسمى بعض عباده عليما وبعضهم حليفا رؤوفا رحيفا وبعضهم سميعا بصيرا وبعضهم ملكا وبعضهم عزيزا وبعضهم جبارا متكبرا ومعلوم انه ليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحلِيم ولا السميع كالسميع وهكذا فى سائر الاسماء قال سبحانه وتعالى { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } النساء 11 وقال { إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } الحجر 53 وقال { إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } فاطر 41 وقال { فَبَشِّرْنَا بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } الصافات 101 وقال { إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ } البقرة 143 وقال { بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } التوبة 128 وقال { إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } النساء 58 وقال تعالى { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } الإنسان 2 وكذلك سائر ما ذكر لكن الانسان يعتبر بما عرفه مالم يعرف ولولا ذلك لا نسدت عليه طرق المعارف للأمور الغائبة وأما من جهة المقابلة فيقال من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز وهكذا أمثال ذلك لأن العبد ليس له من نفسه الا العدم وصفات النقص كلها ترجع الى لعدم وأما الرب تعالى فله صفات الكمال وهى من لوازم ذاته يمتنع انفكاكه عن صفات الكمال أزلا وأبدا ويمتنع عدمها لأنه واجب الوجود ازلا وابدأ وصفات كماله من لوازم ذاته ويمتنع ارتفاع اللازم الا بارتفاع الملزوم فلا يعدم شيء من صفات كماله إلا يعدم ذاته وذاته يمتنع عليها العدم فيمتنع عبي شيء من صفات كماله العدم وأما من جهة العجز والا فإنه يقال إذا كانت نفس الانسان التى هى اقرب الأشياء اليه بل هى هويته وهو لا يعرف كيفيتها ولا يحيط علما بحقيقتها فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علما بحقيقته ولهذا قال افضل الخلق واعلمهم بربه صلى الله عليه وسلم اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وثبت فى صحيح مسلم وغيره انه كان يقول هذا فى سجوده وقد روى الترمذى وغيره انه كان يقول فى قنوت الوتر وان كان فى هذا الحديث نظر فالأول صحيح ثابت وأما سؤال السائل هل هو جوهر او عرض فلفظ الجوهر فيه اجمال ومعلوم انه لم يرد بالسؤال الجوهر فى اللغة مع انه قد قيل إن لفظ الجوهر ليس من لغة العرب وانه معرب وإنما اراد السائل الجوهر فى اصطلاح من تقسيم الموجودات الى جوهر وعرض وهؤلاء منهم من يريد بالجوهر المتجيز فيكون الجسم المتحيز عندهم جوهرًا وقد يريدون بهى الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ والعقلاء متنازعون فى إثبات هذا وهو أن الأجسام هل هى مركبة م الجواهر المفردة ام من المادة والصورة ام ليست مركبة من هذا ولا من هذا على ثلاثة اقوال أصحابها الثالث انها مركبة لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وهذا قول كثير من طوائف اهل الكلام كالهشامية والضرارية والنجارية والكلابية وكثير من الكرامية وهو قول جمهور الفقهاء واهل الحديث والصوفية غيرهم بل هو قول اكثر العقلاء كما قد بسط فى موضعه والقائلون بأن لفظ الجوهر يقال على المتحيز متنازعون هل يمكن جود جوهر ليس بمتحيز هؤلاء منهم من يقول كل موجود فاما جوهر واما عرض ويدخل الموجود الواجب فى مسمى الجوهر ومن هؤلاء من يقول كل موجود فاما جسم او عرض ويدخل الموجود الواجب فى مسمى الجسم وقد قال بهذا وبهذا طائفة من نظار المسلمين وغيرهم ومن المتفلسفة والنصارى من يسميه جوهرًا ولا يسميه جسما وحكى عن بعض نظار المسلمين أنه يسميه جسما ولا يسميه جوهرًا إلا أن الجسم عنده هو المشار إليه أو القائم بنفسه والجوهر عنده جوهر الفرد ولفظ العرض فى اللغة له معنى وهو ما يعرض ويزول كما قال تعالى { يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى } الأعراف 169 عند أهل الإصطلاح الكلامي قد يراد بالعرض ما يقوم بغيره مطلقا وقد يراد بهما يقوم بالجسم من الصفات ويراد به فى غير هذا الاصطلاح امور

أخرى ومعلوم ان مذهب السلف والأئمة وعامة اهل السنة والجماعة اثبات صفات الله وان له علما وقدرة وحياة وكلاما ويسمون هذه الصفات ثم منهم من يقول هي صفات وليست اعراض لأن العرض لا يبقى زمانين وهذه باقية ومنهم من يقول بل تسمى اعراضا لان العرض قد يبقى وقول من قال ان كل عرض لا يبقى زمانين قول ضعيف واذا كانت الصفات الباقية تسمى اعراضا جاز ان تسمى هذه اعراضا ومنهم من يقول انا لا اطلق ذلك بناء على ان الاطلاق مستندة الشرع والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه فى اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد باطلاقه نص ولا اجماع ام لا يطلق نص او اجماع على قولين مشهورين وعامة النظائر يطلقون ما لا نص فى اطلاق ولا اجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك ومن الناس من يفصل بين الأسماء التى يدعى بها وبين ما يخبر به عنه للحاجة فهو سبحانه اما يدعى بالاسماء الحسنى كما قال والله الأسماء الحسنى فاعوده بها وأما إذا احتيج إلى الاخبار عنه مثل ان يقال ليس هو بقديم لا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك ففيل فى تحقيق الإثبات هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها وقيل ليس بشيء ففيل بل هو شيء فهذا سائغ وان كان لا يدعى يمثل هذه الأسماء التى ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل يا شيء إذ كان هذا لفظا يعم كل موجود وكذلك لفظ ذات وموجود ونحو ذلك إلا إذا سمي بالموجود الذى يجده من طلبه كقوله ووجد الله عنده فهذا اخص من الموجود الذى يعم الخالق والمخلوق إذا تبين هذا فالنفس وهى الروح المدبرة لبدن الانسان هي من باب ما يقوم بنفسه التى تسمى جوهرها وعينا قائمة بنفسها ليست من باب الاعراض التى هي صفات قائم بغيرها وأما التعبير عنها بلفظ الجوهر والجسم ففيه نزاع بعضه اصطلاحى وبعضه معنوى فمن عنى بالجوهر القائم بنفسه فهى جوهر ومن عنى بالجسم ما يشار إليه وقال انه يشار إليها فهى عنده جسم ومن عنى بالجسم المركب من الجواهر المفردة او المادة والصورة فبعض هؤلاء قال انها جسم ايضا ومن عنى بالجوهر المتحيز القابل للقسمة فمنهم من يقول إنها جوهر والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وليست من جنس الاجسام المتحيزات المشهودة المعهودة واما الاشارة إليها فإنه يشار إليها وتصدق وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية وأما قول القائل اين مسكنها من الجسد فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد بل هى سارية فى الجسد كما تسرى الحياة التى هى عرض فى جميع الجسد فان الحياة مشروطة بالروح فاذا كانت الروح فى الجسد كان فيه حياة وإذا فارقت الروح فارقت الحياة<sup>1</sup>

## الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه

وقال أبو عبدالله محمد بن أبى زمنين الامام المشهور من أئمة المالكية فى كتابه الذى صنفه فى أصول السنة قال فيه فى الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال وأعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به انبياءه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما والعجز عن ما لم يدع اليه ايمانا وأنهم انما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه الى حيث انتهى فى كتابه على لسان نبيه وقد قال وهو اصدق القائلين { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** } الحجر 29 ومثل هذا فى القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم هو الأول لا شيء قبله والآخر الباقي الى غير نهاية ولا شيء بعده والظاهر العالى فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه فقال { **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** } البقرة 29 قيوم حى لا تأخذه سنة ولا نوم وذكر أحاديث الصفات ثم قال فهذه صفات ربنا التى وصف بها نفسه فى كتابه ووصفه بها نبيه وليس فى شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** } وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 لم تره العيون فتحده كيف هو ولكن رأته القلوب فى حقائق الايمان<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 289-302

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 57



## المعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله كان عذابا على صاحبه

قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {28} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {29} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {30} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {31} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {32} قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {33} قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ {36} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {37} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38} قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} الحجر 28-40 فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لا رب لهم غيره ولا مالك لهم سواء ولا خالق إلا هو سواء اعترفوا بذلك أنكروه وسواء علموا ذلك أو جهلوه لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له مستكبرا على ربه ولا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجدد له كان عذابا على صاحبه كما قال تعالى { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {النمل 14} وقال تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {البقرة 146} وقال تعالى { فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ {الأنعام 33} <sup>1</sup>

قال محمد بن نصر واستدلوا على ان الايمان هو ما ذكره بالآيات التي تلونها عند ذكر تسمية الله الصلاة وسائر الطاعات ايمانا واستدلوا أيضا بما قص الله من اباة ابليس حين عصى ربه في سجدة واحدة أمر أن يسجدها لآدم فأبأها فهل جحد ابليس ربه وهو يقول { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي { الحجر 39} ويقول { رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ { الحجر 36} ايمانا منه بالبعث وايمانا بنفاذ قدرته في انظاره إياه الى يوم يبعثون وهل جحد أحدا من أنبيائه أو أنكرو شيئا من سلطانه وهو يحلف بعزته وهل كان كفره الا بترك سجدة واحدة أمر بها فاباها قال واستدلوا أيضا بما قص الله علينا من نبأ ابني آدم { إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ { المائدة 27} الى قوله { فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {30} قالوا وهل جحد ربه وكيف يجحده وهو يقرب القربان قالوا قال الله تعالى { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {السجدة 15} ولم يقل اذا ذكروا بها اقرروا بها فقط فان اعترف العبد ان الله ربه وخالقه وأنه مفتقر اليه محتاج اليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضرع اليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع امره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لا تفرق بين اهل الجنة والنار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال تعالى { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ {يوسف 106} فإن المشركين كانوا يقرون ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ { لقمان 25} وقال تعالى { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {85} المؤمنون 84-85 الى قوله { قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {المؤمنون 89} وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر وابليس معترف بهذه الحقيقة واهل النار قال ابليس { رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ { الحجر 36} وقال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ { الحجر 39} وقال { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {ص 82} وقال { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ {الإسراء 62} وامثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بان الله ربه وخالقه وخالق غيره وكذلك اهل النار قالوا { قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ {المؤمنون 106} وقال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا {الأنعام 30} فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما امر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة امره وامر رسوله كان من جنس ابليس واهل النار وان ظن مع ذلك انه خواص اولياء الله واهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان كان من اشر اهل

<sup>1</sup> الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 365

الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الامر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر اقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد وهو العبد العابد فيكون عابدا لله لا يعبد الا اياه فيطيع امره وأمر رسله ويوالي اوليائه المؤمنين المتقين ويعادى اعداءه وهذا العبادة متعلقة بالهيته ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبد او يعبد معه اله آخر فالاله الذى يأله القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاکرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه العبادة هي التى يحبها الله ويرضاها بها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله وأما العبد بمعنى المعبد سواء اقر بذلك او أنكره فتلك يشترك فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة فى عبادة الله ودينه وامره الشرعى التى يحبها ويرضاها ويوالى اهلها ويكرمهم بجنته وبين الحقائق الكونية التى يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التى من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع ابليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها فى بعض الأمور دون بعض أو فى مقام او حال نقص من إيمانه ولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكره فيه الاشتباه على السالكين حتى زلق فيه من اكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان مالا يحصيهم الا الله الذى يعلم السر والاعلان والى هذا اشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه فبين ان كثيرا من الرجال إذا وصلوا الى إلى القضاء والقدر أمسكوا الا انا فإنى انفتحت لى فيه روزنة فنازعت اقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدر على احدهم من المعاصى والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدرة داخل فى حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقالوا { أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ } يس 47 وقالوا { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاَهُمْ } الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا ان نرضى به ونصير على موجهه فى المصائب التى تصيبنا كالقفر والمرض والخوف قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } 22 { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } الحديد 22-23 وفى الصحيحين عن النبى أنه قال احتج آدم وموسى فقال أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل ان أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وأدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتج بالقدر فان هذا لايقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتبه وهدى ولكن لامة لأجله المصيبة التى لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم أن هذا كان مكتوبا قيل أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدار وما قدر من المصائب يجب لاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا وأما الذنوب فليس للعبد ان يذنب واذا اذنب فعليه ان يستغفر وفتوب من المعائب ويصير على المصائب قال تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 وقال تعالى { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً } آل عمران 120 وقال { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186 وقال يوسف { إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد فى سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالى اولياء الله ويعادى اعداء الله ويحب فى الله ويبغض فى الله<sup>1</sup>

## يوم الدين يوم يدين العباد بأعمالهم

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 317 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 365

قال تعالى { قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} الحجر 34-35 أن أسم العبادة يتناول غاية الحب بغاية الذل وهكذا الدين الذي يدين به الناس في الباطن والظاهر لا بد فيه من الحب والخضوع بخلاف طاعتهم للملوك ونحوهم فإنها قد تكون خضوعاً ظاهراً فقط والله سبحانه وتعالى سمي يوم القيامة يوم الدين كما قال { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } الفاتحة 4 وهو كما روى عن ابن عباس وغيره من السلف يوم يدين الله العباد بأعمالهم إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً وذلك يتضمن جزاءهم وحسابهم فلهذا من قال هو يوم الحساب ويوم الجزاء فقد ذكر بعض صفات الدين قال تعالى { كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ } {9} وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {10} كِرَامًا كَاتِبِينَ {11} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ {12} إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {13} وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ {14} يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ {15} وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ {16} وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ {19} الانفطار 9-19 وقال تعالى { قُلْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ {86} تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {87} الواقعة 86-87 أي مقهورين ومدبرين ومجزيين<sup>1</sup>

## الغى خلاف الرشد وهو إتباع الهوى

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {44} الحجر 39-44 والضلال مقرون بالغي فكل غاو ضال والرشد ضد الغي والهدى ضد الضلال وهو مجانبة طريق الفجار وأهل البدع والغي في الأصل مصدر غوى يغوي غياً كما يقال لوى يلوي لياً وهو ضد الرشد كما قال تعالى { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } الأعراف 146 والرشد العمل الذي ينفع صاحبه والغي العمل الذي يضر صاحبه فعمل الخير رشد وعمل الشر غي ومنه الرشيد الذي يسلم إليه ماله وهو الذي يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر وقال الشيطان { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} الحجر 39-40 وهو أن يأمرهم بالشر الذي يضرهم فيطيعونه كما قال تعالى { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } إبراهيم 22 وقال { وَبَرَزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ } الشعراء 91 إلى أن قال { فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } {94} وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ {95} الشعراء 94-95 وقال { قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا } القصص 63 وقال { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 ثم إن الغى إذا كان إسماً لعمل الشر الذي يضر صاحبه فإن عاقبة العمل أيضاً تسمى غياً كما أن عاقبة الخير تسمى رشداً كما يسمى عاقبة الشر شراً وعاقبة الخير خيراً وعاقبة الحسنات حسنات وعاقبة السيئات سيئات<sup>2</sup>

وليس الغي مختصاً بشهوات البطون والفروج فقط بل هو في شهوات البطون والفروج وشهوات الرئاسة والكبر والعلو وغير ذلك فهو إتباع الهوى وإن لم يعتقد أنه هوى بخلاف الضال فإنه يحسب أنه يحسن صنعا ولهذا كان إبليس أول الغاوين كما قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39<sup>3</sup>

<sup>1</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 35

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 570 والزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 10

<sup>3</sup>رسالة في التوبة ج: 1 ص: 235

## الغي يضعف الإخلاص ويقوى الهوى والشرك

قال تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {28} فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {29} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {30} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {31} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {32} قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {33} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ {36} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {37} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38} قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ {44} الحجر 28-44 وقال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ {98} إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ {100} النحل 98-100 المتولون للشيطان هم الذين يحبون ما يحبه فأخبر سبحانه أن المتوكلين على الله ليس للشيطان عليهم سلطان وإنما سلطانه على المتولين له والمتولي من الولاية وأصله المحبة والموافقة كما أن العداوة أصلها البغض والمخالفة فالمتولون له هم الذين يحبونه ما يحبه الشيطان ويوافقهم فهم مشركون به حيث أطاعوه وعبدوه بامتثال أمره كما قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {61} يس 60-61 والشياطين شياطين الإنس والجن والعبادة فيها الرغبة والرغبة قال تعالى { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ {75} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ {76} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {77} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {78} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ {79} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {80} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {81} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ {84} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ {85} ص 75-85 فأقسم الشيطان { لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} ص 75-83 وقد أخبر الله أنه ليس له سلطان على هؤلاء فقال في الحجر { قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} الحجر 34-35 إلى قوله { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} الحجر 39-40 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} الحجر 42 وقوله { إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} استثناء منقطع في أقوي القولين إذ العباد هم العابدون لا المعبودون كما قال تعالى

وقال تعالى { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا {الإنسان 6} وقال تعالى { الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {67} يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ {68} الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ {69} الزخرف 67-69 وقال تعالى { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ {الجن 19} وقال تعالى { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا {الإسراء 1} وقال تعالى { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {ص 45} عباد الله المخلصون ليس للشيطان عليهم سلطان وإذا كان عباد الله المخلصون ليس له عليهم سلطان وأن سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقد أقسم أن يغويهم إلا عباد الله المخلصين وأخبر الله أن سلطانه ليس على عباد الله بل على من اتبعه من الغاوين والغي اتباع الأهواء والشهوات وأصل ذلك أن الحب لغير الله كحب الأنداد وذلك هو الشرك قال الله تعالى فيه { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ {النحل 100} فبين أن صاحب الإخلاص مادام صادقاً في إخلاصه فإنه يعتصم من هذا الغي وهذا الشرك وإن الغي هو يضعف الإخلاص ويقوي هواه الشرك قال الله تعالى { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ {27} وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا

بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ {29} فَرِيفًا هَدَى وَفَرِيفًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ {30} الأعراف 27-30 فاخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وهو قوله تعالى { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } الكهف 50 وقال تعالى { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } النحل 100 وإذا كان سلطانه علي أوليائه الذين تولوه والذين هم به مشركون وهم الذين لا يؤمنون بالله وقال تعالى { **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** } الحجر 42 فيكون هؤلاء هم الغاوين وهم الذين قال الشيطان { لأَعُوْبِيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82-83 ولهذا أخبر سبحانه عن أوليائه أنهم { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 فأخبر عن أولياء الشيطان وهم الذين يتولونه والذين هم به مشركون أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بالتقليد لأسلافهم وزعموا مع ذلك أن الله أمرهم بها فيتبعون الظن في قولهم إن الله أمرهم بها وما تهوي الأنفس في تقليد أسلافهم وأتباعهم<sup>1</sup>

## الإنسان إما عابد لله أو عابد للشيطان

قال تعالى { **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَالأَعْيُنِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ** } {39} { **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** } {40} { **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ** } {41} { **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** } {42} { **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** } {43} { **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ** } {44} الحجر 39-44 الإنسان إما عابد لله أو عابد للشيطان ولهذا كان كل من لم يعبد الله وحده فلا بد أنه يكون عبدا لغيره يعبد غيره فيكون مشركا وليس في بني آدم قسم ثالث بل إما موحد أو مشرك أو من خلط هذا بهذا كالمبدلين من أهل الملل النصراني ومن أشبههم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام لما قال إبليس { **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَالأَعْيُنِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ** } { **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** } {40} الحجر 39-40 قال الله تعالى { **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** } {42} الحجر 42 فإبليس لا يغوي المخلصين ولا سلطان له عليهم إنما سلطانه على الغاوين وهم الذين يتولونه وهم الذين به مشركون وكل من عبد غير الله فإنما يعبد الشيطان وإن كان يظن أنه يعبد الملائكة والأنبياء<sup>2</sup>

## كل من أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه

قال تعالى { **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَالأَعْيُنِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ** } {39} { **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** } {40} { **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ** } {41} { **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** } {42} { **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** } {43} { **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ** } {44} الحجر 39-44 الإنسان لا يفعل الحرام إلا لضعف إيمانه ومحبته وإذا فعل مكروهاً الحق فلضعف بغضها في قلبه أو لقوة محبتها التي تغلب بغضها فالإنسان لا يأتي شيئا من المحرمات كالفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول علي الله بغير علم إلا لضعف الإيمان في أصله أو كماله أو ضعف العلم والتصديق وإما ضعف المحبة والبغض لكن إذا كان أصل الإيمان صحيحا وهو التصديق فإن هذه المحرمات يفعلها المؤمن مع كراهته وبغضه لها فهو إذا فعلها لغلبة الشهوة عليه فلا بد أن يكون مع فعلها فيه بغض لها وفيه خوف من عقاب الله عليها وفيه رجاء لأن يخلص من عقابها إما بتوبة وإما حسنات وإما عفو وإما دون ذلك وإلا

<sup>1</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 77-87

<sup>2</sup>الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 56

فإذا لم يبغضها ولم يخف الله فيها ولم يرج رحمته فهذا لا يكون مؤمناً بحال بل هو كافر أو منافق فكل سيئة يفعلها المؤمن لا بد أن تقترن بها حسنات له لكن قوة شهوته للسيئة وما زين له فيها حتى ظن أنها مصلحة له أوجب وقوعها وهو اتباع الظن وما تهوي الأنفس وهذا القدر عارض بعض إيمانه فترجح عليه حتى ما هو ضد لبعض الإيمان فلم يبق مؤمناً بالإيمان الواجب كما قال النبي لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وهو فيما يفعله متبع للشيطان فيما زين له حتى رآه حسناً وفيما أمره به فأطاعه وهذا من الشرك بالشيطان كما قال تعالى { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } {الكهف-50} وقال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {61} يس-60-61 ولهذا لم يخلص من الشيطان إلا المخلصون الله كما قال تعالى عن ابليس { وَلَا غُوبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} {40} الحجر-39-40 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {الحجر-42} وقال تعالى { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} {100} {النحل-99-100} فإذا كان الشيطان ليس له سلطان إلا علي من أشرك به فكل من أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك والشيطان يوالي الإنسان بحسب عدم إيمانه كما قال تعالى { إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } {الأعراف-27} وقال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } {36} {وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ} {37} {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} {38} {الزخرف-36-38} وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } {يوسف-24} ويشهد لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي إن الشيطان ينتصب عرشه علي البحر ويبعث سراياه فجميع ما نهى الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه كما أن كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله ولهذا قال تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } {البقرة-193} <sup>1</sup>

## كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ} {40} {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} {41} {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} {42} {الحجر-28-42} فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واصلهم وقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} {يُسْجَرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء-19-20} وقال تعالى {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} النساء-172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } النساء-173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة ودم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} {النحل-36} وقال {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاريات-56} وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } {الأعراف-59} وفي المسند عن ابن عمر عن النبي انه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امرى وقد بين ان عباده هم الذين ينجون من السيئات قال الشيطان {بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

<sup>1</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 105-106

وَأَغْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} الحجر 39-40 الى قوله تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} الحجر 42<sup>1</sup>

## العبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} الحجر 28-42 العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وامثال ذلك هي من العبادة لله وذلك ان العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {الذاريات} 56 وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ {الأعراف} 59 وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ {النحل} 36 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {الأنبياء} 25 وقال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ {الأنبياء} 92 كما قال في الآية الاخرى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {المؤمنون} 51 وجعل ذلك لازماً لرسوله الى الموت قال { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ {الحجر} 99 وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ {20} الأنبياء 19 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ {الأعراف} 206 وذم المستكبرين عنها بقوله { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ {غافر} 60 ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا {الإنسان} 6 ولما قال الشيطان { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} الحجر 39-40 قال الله تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {الحجر} 42<sup>2</sup>

## بين الله أن عباده هم الذين ينجون من السيئات

وقد بين الله أن عباده هم الذين ينجون من السيئات قال الشيطان { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} الحجر 39-40 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {الحجر} 42 و { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} ص 82-83 وقال في حق يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 178

<sup>2</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 362 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 150-151

المُخْلِصِينَ} يوسف 24 { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } {159} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ } {160} الصافات 159-160 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل 99-100<sup>1</sup>

إنما يبنتلى بالفاحشة أهل الاعراض عن الاخلاص لله كما قال تعالى في حق يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ } يوسف 24 فامرأة العزيز كانت مشركة فوعدت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء ويوسف عليه السلام مع عزوبته ومرادتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه لله تحقيقاً لقوله { لَأُعْوِجَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ } {83} ص 82-83 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {الحجر 42} والغى هو إتباع الهوى<sup>2</sup>

## من استغفر وتاب كان آدمياً سعيداً ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسياً شقياً

فإن القدر يجب الإيمان به ولا يجوز الإحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده والناس الذين ضلوا في القدر على ثلاثة أصناف قوم آمنوا بالأمر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا أن من الحوادث ما لا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق كل شئ وربّه ومليكه لكن عارضوا هذا بالأمر والنهي وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضا للشريعة وفيهم من يقول إن مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب وإن العارف يستوى عنده هذا وهذا وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد فإنهم لا يسوون بين من أحسن إليهم وبين من ظلمهم ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والعاجز ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم بل يفرقون بينهما ويفرقون أيضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الأمر والنهي ولا يقفون لا مع القدر ولا مع الأمر بل كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب يوافق هواك تمذهبت به ولا يوجد أحد يحتج بالقدر فى ترك الواجب وفعل المحرم إلا وهو متناقض لا يجعله حجة فى مخالفة هواه بل يعادى من آذاه وان كان محقا ويحب من وافقه على غرضه وان كان عدوا لله فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبتة وبغضه وولايته وعداوته إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فإن هذا مستلزم للفساد الذى لا صلاح معه والشر الذى لا خير فيه اذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من ظالم باغ ولا أخذ لمظلوم حقه من ظالمه ولفعل كل أحد ما يشتهي من غير معارض يعارضه فيه وهذا فيه من الفساد ما لا يعلمه الا رب العباد فمن المعلوم بالضرورة أن الأفعال تنقسم الى ما ينفع العباد والى ما يضرهم والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطبييات ويحرم عليهم الخبائث فمن لم يتبع شرع الله ودينه تبع ضده من الأهواء والبدع وكان احتجاجة بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه ولزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير من أهل المعاذير وان قال أنا أعذر بالقدر من شهوده وعلم أن الله خالق فعله ومحركه لا من غاب عن هذا الشهود أو كان من أهل الجحود قيل له فيقال لك وشهود هذا وجود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجود هذا فإن كان هذا موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محمودا وبعضهم مذموما مع شمول القدر لهما وهذا رجوع الى الفرق واعتصام بالأمر والنهي وحينئذ فقد نقضت أصلك وتناقضت

<sup>1</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 378

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 253



فيه وهذا لازم لكل من دخل معك فيه ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة فمن جعل الإيمان بالقدر وشهوده عذرا في ترك الواجبات وفعل المحظورات بل الإيمان بالقدر حسنة من الحسنات وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات فلو أشرك مشرك بالله وكذب رسوله ناظرا الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافرا لتكذيبه ولا مانعا من تعذيبه فان الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقرا بالقدر وناظرا اليه أو مكذبا به أو غافلا عنه فقد قال ابلis { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39 فاصر واحتج بالقدر فكان ذلك زيادة في كفره وسببا لمزيد عذابه وأما آدم عليه السلام فانه قال { قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 قال تعالى { فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } البقرة 37 فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيدا ومن أصر واحتج بالقدر كان ابلisia شقيا وقد قال تعالى لإبلis { الْأُمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 وهذا الموضوع ضل فيه كثير من الخاضعين في الحقائق فانهم يسلكون أنواعا من الحقائق التي يجدونها ويدقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الأمر فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون ديننا لم يشره الله ويحتجون بالقدر على مخالفة أمر الله<sup>1</sup>

فإن آدم اعترف بانه هو الفاعل للخطيئة وانه هو الظالم لنفسه وتاب من ذلك ولم يقل إن الله ظلمني ولا أن الله أمرني في الباطن بالأكل قال تعالى { فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } البقرة 37 وقال تعالى { قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وابلis أصر واحتج بالقدر فقال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39<sup>2</sup>

فقوله ما أصابك من حسنة فمن الله حق من كل وجه ظاهرا وباطنا على مذهب أهل السنة وأما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد وذنبه من نفسه وهو لم يقل إنني لم أقدر ذلك ولم أخلقه بل ذكر للناس ما ينفعمهم فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله فزاده الله من فضله عملا صالحا ونما يفيضها عليه وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه استغفر وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون العبد دائما شاكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يندفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على الطاعة ونستغفره من المعصية ثم يقول ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فيستعيز به من الشر الذي في النفس ومن عقوبة عمله فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه فيستعيز الله من شر النفس أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله ومن عقوبات عمله فاستعانه على الطاعة وأسبابها واستعاذ به من المعصية وعقابها فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه يوجب له هذا وهذا فهو سبحانه فرق بينهما هنا بعد أن جمع بينهما في قوله قل كل من عند الله ثم بين فرق الذي ينتفعون به وهو أن هذا الخير من نعمة الله فاشكروه يزدكم وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم والمذنب إذا تاب واستغفر تأسى بالانبياء كآدم والمؤمنين كآدم وغيره وإذا أصر واحتج بالقدر فقد تأسى بالأشقياء كإبلis ومن اتبعه من الغاوين فكان من ذكره أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه بعد أن ذكر أن الجميع من عند الله تنبيهها على الاستغفار والتوبة والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله والدعاء بذلك في الصباح والمساء وعند المنام كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبا بكر الصديق أفضل الأمة حيث علمه أن يقول اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم فيستغفر مما مضى ويستعيز مما يستقبل فيكون من حزب السعداء وإذا علم أن الحسنة من الله الجزاء والعمل سأله أن يعينه على فعل الحسنات بقوله إياك

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 302-303

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 328

نعبد وإياك نستعين وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط ولم يذكر الفرق فإنه يحصل من هذه التسوية إعراض العاصي والمذنب عن ذم نفسه وعن التوبة من ذنوبها والاستعادة من شرها بل وقام في نفسه أن يحتج على الله بالقدر وتلك حجة داحضة لا تنفعه بل تزيد عذابا وشقاء كما زادت إبليس لما قال **{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39** فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه وأعرض عما أمر الله من التوبة والاستغفار والاستعانة بالله والاستعادة به واستهدائه كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة فهذا من فوائد ذكر الفرق بين الجميع<sup>1</sup>

## القدرية الإبليسية

قال تعالى **{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 39 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 40 { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } 41 { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ } 42 { الحجر 28-42** الحق الذي جاءت به الشريعة أنه إذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده إذ أنعم عليه بأن جعله محسنا ولم يجعل مسيئا فإنه فقير محتاج في ذاته وصفاته وجميع حركاته وسكناته إلى ربه ولا حول ولا قوة إلا به فلو لم يهده لم يهتد كما قال أهل الجنة **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 43** وإذا أساء اعترف بذنبه واستغفر ربه وتاب منه وكان كأبيه آدم الذي قال **{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23** ولم يكن كإبليس الذي قال **{ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 39 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 40 { الحجر 39-40** ولم يحتج بالقدر على ترك مأمور ولا فعل محظور مع إيمانه بالقدر خيره وشره وأن الله خالق كل شيء ورببه ومليكه وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك وهؤلاء هم الذين أطاعوا الله في قوله في هذا الحديث الصحيح فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه<sup>2</sup>

والقدرية الإبليسية فهم الذين يقرون بوجود الأمر والنهي من الله و يقرون مع ذلك بوجود القضاء والقدر منه لكن يقولون هذا فيه جهل و ظلم فإنه بتناقضه يكون جهلا و سفها و بما فيه من عقوبة العبد بما خلق فيه يكون ظلما وهذا حال إبليس فإنه **{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39** فأقر بأن الله أغواه ثم جعل ذلك عنده داعيا يقتضي أن يغوى هو ذرية آدم و إبليس هو أول من عادى الله و طغى في خلقه و أمره و عارض النص بالقياس و لهذا يقول بعض السلف أول من قاس إبليس فإن الله أمره بالسجود لآدم فاعترض على هذا الأمر بأنى خير منه و إمتنع من السجود فهو أول من عادى الله و هو الجاهل الظالم الجاهل بما فى أمر الله من الحكمة الظالم بإستكباره الذي جمع فيه بين بطل الحق و غمط الناس ثم قوله لربه فيما أغويتني لأفعلن جعل فعل الله الذي هو إغواؤه له حجة له و داعيا إلى أن يغوى ابن آدم و هذا طعن منه في فعل الله و أمره و زعم منه أنه قبيح فأنا أفعل القبيح أيضا فقاس نفسه على ربه و مثل نفسه بربه و لهذا كان مضاهيا للربوبية كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه و سلم إن إبليس ينصب عرشه على البحر ثم يبعث سراياه فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجيء الرجل فيقول ما زلت به حتى فعل كذا ثم يجيء لآخر فيقول ما زلت به حتى فرقت بينه و بين زوجته فيلترمه و يدينه منه و يقول أنت أنت و القدرية قصدوا تنزيه الله عن السفه و أحسنوا في هذا القصد فإنه سبحانه مقدس عما يقول الظالمون من إبليس و جنوده علوا كبيرا حكم عدل لكن ضاق ذرعهم و

<sup>1</sup> الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 44-43

<sup>2</sup> الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 441

حصل عندهم نوع جهل إعتقدوا معه أن هذا التنزيه لا يتم إلا بأن يسلبوه قدرته على أفعال العباد و خلقه لها و شمول إرادته لكل شيء فناظروا إبليس و حزيه في شيء و استحوذ عليهم إبليس من ناحية أخرى و هذا من أعظم آفات الجدل في الدين بغير علم أو بغير الحق و هو الكلام الذي ذمه السلف فإن صاحبه يرد باطلا بباطل و بدعة ببدعة<sup>1</sup>

## من تاب اشبه اباه آدم ومن اصر واحتج بالقدر اشبه ابليس

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُوَيْتِيهِمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} } الحجر 28-42 قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما و قدرة و حكما و وسع كل شيء رحمة و علما فما من ذرة في السموات و الأرض و لا معنى من المعاني إلا و هو شاهد لله تعالى بتمام العلم و الرحمة وكمال القدرة و الحكمة و ما خلق الخلق باطلا و لا فعل شيئا عبثا بل هو الحكيم في أفعاله و أقواله سبحانه و تعالى ثم من حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه و منه ما إستأثر سبحانه بعلمه إرادته قسما إرادة أمر و تشريع و إرادة قضاء و تقدير فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي سواء وقعت أو لم تقع كما في قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَنَّ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ } النساء 26 و قوله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 و أما القسم الثاني و هو إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيطه بجميع الحادثات و قد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول كما في قوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و في قوله { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ } هود 34 و في قول المسلمين ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن نظائره كثيرة و هذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات و المعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث و السعيد من أراد منه تقديرا ما أراد به تشريعا و العبد الشقى من أراد به تقديرا ما لم يرد به تشريعا و الحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا و من نظر الى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور مثل قريش الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 فإن هؤلاء إعتقدوا أن كل ما شاء الله و جوده و كونه و هي الإرادة القدريية فقد أمر به و رضيه دون الارادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله و جوده قالوا فيكون قد رضيه و أمر به قال الله { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } الأنعام 148 بالشرائع من الأمر و النهي { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا } الأنعام 148 بأن الله شرع الشرك و تحريم ما حرمتوه { إِنْ تَتَّبِعُونَ } الأنعام 148 في هذا { إِلَّا الظَّنَّ } الأنعام 148 و هو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 أي تكذبون و تقترنون بإبطال شريعته { فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } الأنعام 149 على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده و شريعته و مع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين الى متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلا منه و إحسانا و يحرم من يشاء لأن المتفضل له أن يتفضل له أن لا يتفضل فتترك تفضله على من حرمه عدل منه و قسط و له في ذلك حكمة بالغة و هو يعاقب الخلق على مخالفة أمره و إرادته الشرعية و إن كان ذلك بإرادته القدريية فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضا تعقبه آلاما فالمرض بقدره و الألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم و قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرب فلا يتألم المضروب و هذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل إعتلاله بالقدر ذنب بان يعاقب عليه أيضا و إنما إعتل بالقدر إبليس حيث قال { بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } الحجر 39 و أما آدم فقال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ }

الْحَاسِرِينَ { الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه و من أراد شقاوته إعتل بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار مثله مثل رجل طار الى داره شرارة نار فقال له العقلاء أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح ألقتها و أنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل بهذه العلل حتى استعرت و انتشرت و احترقت الدار و ما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير و لا يردها بالإستغفار و المعاذير بل حاله أسوأ من ذلك بالذنب الذي فعله بخلاف الشرارة فإنه لا فعل له فيها و الله سبحانه يوقفنا و إياكم و سائر إخواننا لما يحب و يرضاه فإنها لا تتال طاعته إلا بمعونته و لا تترك معصيته إلا بعصمته و الله أعلم<sup>1</sup>

خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} غافر 55 وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {22} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {23} الحديد 22-23 وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } {التغابن 11} قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم قال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ وَهُمُ يُصِرُّوْنَ } {مَا فَعَلُوا} وَهُمْ يَعْلَمُونَ { آل عمران 135} وقد ذكر الله تعالى عن ادم عليه السلام انه لما فعل من فعل قال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {الأعراف 23} وعن إبليس انه قال { **بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** } {الحجر 39} فمن تاب اشبه اباه آدم ومن اصر واحتج بالقدر اشبه إبليس<sup>2</sup>

إن القدر ليس حجة لأحد لا على الله و لا على خلقه و لو جاز لأحد أن يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم و لم يقاتل مشرك و لم يقم حد و لم يكف أحد عن ظلم أحد و هذا من الفساد في الدين و الدنيا المعلوم ضرورة فساده للعالم بصريح المقول المطابق لما جاء به الرسول فالقدر يؤمن به و لا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارح المجوس و من احتج به ضارح المشركين و من أقر بالأمر و القدر و طعن في عدل الله و حكمته كان شبيها بإبليس فإن الله ذكر عنه أنه طعن في حكمته و عارضه برأيه و هواه و أنه قال { **بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** } {الحجر 39}<sup>3</sup>

## الشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {44} } {الحجر 39-44} اخبر الله سبحانه وتعالى ان الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بهدى الله الذي بعث به رسله<sup>4</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 197-200 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 32

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 108

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 117

<sup>4</sup>الاستقامة ج: 2 ص: 171

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} {الحجر 39-42} فإن الشيطان ينزل على كل إنسان ويوحى إليه بحسب موافقته له ويطرد بحسب إخلاصه لله وطاعته له قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } {الحجر 42} وعباده هم الذين عبدوه بما أمرت به رسله من اداء الواجبات والمستحبات وأما من عبده بغير ذلك فإنه من عباد الشيطان لا من عباد الرحمن قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {61} وَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } {62} يس 60-62<sup>1</sup>

فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين<sup>2</sup>

فان الشيطان انما يمنعه من الدخول الى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي ارسل به رسله فاذا خلا من ذلك تولاة الشيطان قال الله تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } {36} وَإِنَّهُمْ لَيَبْغُضُونَكَ مِنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } {37} الزخرف 36-37 وقال الشيطان فيما اخبر الله عنه { فِعْزَتِكَ لِأَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} ص 82-83 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {الحجر 42} والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئا وانما يعبد الله بما امر به على السنة رسله فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين وهذا باب دخل فيه امر عظيم على كثير من السالكين واشتبهت عليهم الاحوال الرحمانية بالاحوال الشيطانية وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة وظنوا ان ذلك من كرامات اولياء الله المتقين كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع<sup>3</sup>

فالذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتثلة لما أمرت به ومع إمتثال المأمور لا تفعل المحظور فإنهما ضدان قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 الآية وقال { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } {الحجر 42} فعباد الله مخلصون لا يغويهم الشيطان والغى خلاف الرشد وهو إتباع الهوى فمن مالت نفسه الى محرم فليات بعبادة الله كما أمر الله مخلصا له الدين فإن ذلك يصرف عنه السوء الفحشاء خشية ومحبة والعبادة له وحده وهذا يمنع من السنيات<sup>4</sup>

## الإخلاص ينفي اسباب دخول النار

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 450

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 220

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 399-400

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 637

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} {40} {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} {41} {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} {42} {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} {43} {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} {44} الحجر 39-44

فان الخير لا موجب له الا مشيئة الله فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن والمعوق له من العبد هو ذنوبه وما كان خارجا عن قدرة العبد فهو من الله وان كانت افعال العباد بقدر الله تعالى لكن جعل فعل المأمور وترك المحذور سببا للنجاة والسعادة فشهادة التوحيد تفتح باب الخير والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر ولهذا ينبغي للعبد ان لا يعلق رجاءه الا بالله ولا يخاف من الله ان يظلمه فان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون بل يخاف ان يجزيه بذنوبه وهذا معنى ما روى عن علي رضي الله عنه انه قال لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه وفي الحديث المرفوع الى النبي انه دخل على مريض فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبى فقال ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف فالرجاء ينبغى ان يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله فان تعليق الرجاء بغير الله اشراك وان كان الله قد جعل لها اسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه بل لا بد له من معاون ولا بد ان يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى الا بمشيئة الله تعالى ولهذا قيل الالتفات الى الاسباب شرك فى التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص فى العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح فى الشرع ولهذا قال الله تعالى { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ } {7} {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} {8} الشرح 7-8 فامر بأن تكون الرغبة اليه وحده وقال { وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } المائدة 23 فالقلب لا يتوكل الا على من يرجوه فمن رجا قوته او عمله او علمه او حاله او صديقه او قرابته او شيخة او ملكة او ماله غير ناظر الى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب وما رجا احد مخلوقا او توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } {الحج 31} وكذلك المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب كما قال تعالى { سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا } {آل عمران 151} والخالص من الشرك يحصل له الا من كما قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } الأنعام 82 وقد فسر النبي الظلم هنا بالشرك ففي الصحيح عن ابن مسعود ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اينما لم يظلم نفسه فقال النبي انما هذا الشرك الم تسمعوا الى قول العبد الصالح { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 وقال تعالى { وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } {165} { إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } {166} { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } {167} {البقرة 165-167} وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } {56} {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } {57} {الإسراء 56-57} ولهذا يذكر الله الاسباب ويأمر بأن لا يعتمد عليها ولا يرجى الا الله قال تعالى لما انزل الملائكة { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } {آل عمران 126} وقال { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } {آل عمران 160} وقد قدمنا ان الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة وكلاهما لا يصلح الا لله فمن جعل مع الله الها آخر فقد مذموما مخذولا والراجى سائل طالب فلا يصلح ان يرجو الا الله ولا يسأل غيره ولهذا قال النبي فى الحديث الصحيح ما أتاك من هذا المال وانت غير سائل ولا مشرف فخذها وما لا فلا تتبعه نفسك فالمشرف الذى يستشرف بقلبه والسائل الذى يسأل بلسانه وفى الحديث الذى فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى قال اصابتنا فاقة فجنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول ايها الناس والله مهما يكن عندنا من خير فلن ندخره عنكم وانه من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا واوسع من الصبر و الاستغناء ان لا يرجو بقلبه احدا فيتشرف اليه و الاستعفاف ان لا يسأل بلسانه احدا ولهذا لما سئل احمد بن حنبل عن التوكل فقال قطع الاستشراف الى الخلق اى لا يكون فى قلبك ان احدا يأتيتك بشيء فقيل له فما الحجة فى ذلك فقال قول الخليل لما قال له جبرائيل هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فهذا وما يشبهه مما يبين ان العبد فى طلب ما ينفعه ودفع يضره لا يوجه قلبه الا الى الله ولهذا قال المكروب { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } {الأنبياء 87} ومثل هذا ما فى الصحيحين عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم فان

هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد وتأله العبد ربه وتعلق رجائه به وحده لا شريك له وهى لفظ خبر يتضمن الطلب والناس وان كانوا يقولون بألسنتهم لا اله الا الله فقول العبد لها مخلصا من قلبه له حقيقة اخرى وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله قال تعالى { أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا } {43} أم تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } {44} الفرقان 43-44 فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ الهه هو اه اى جعل معبوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد احدهم ما يستحسنه فهم يتخذون اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله ولهذا قال الخليل { لا أُجِبُ الْآفِلِينَ } {الأنعام 76} فإن قومه لم يكونوا منكرين للصانع ولكن كان احدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعا كالشمس والقمر والكواكب والخليل بين ان الآفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره فأى وجه لعبادة من يأفل وكلما حقق العبد الاخلاص فى قول لا اله الا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصى والذنوب كما قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 فعمل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } {الحجر 42} وقال الشيطان { قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82-83 وقد ثبت فى الصحيح عن النبى انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار فإن الاخلاص ينفى اسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان فى قلبه نوع من الشرك الذى اوقعه فيما ادخله النار والشرك فى هذه الأمة اخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا فى كل صلاة ان يقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه فى ذلك فلا تزال النفس تلتفت الى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفتقرا الى تخلص توحيدة من شوائب الشرك وفى الحديث الذى رواه ابن ابي عاصم وغيره عن النبى انه قال يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بنتت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا<sup>1</sup>

## أئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } {44} الحجر 39-44 وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التى يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا رسول الله إن أحدنا ليجد فى نفسه ما لئن يخر من السماء الى الأرض أحب اليه من أن يتكلم به فقال ذاك صريح الايمان وفى رواية ما يتعاضم ان يتكلم به قال الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة أى حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الايمان كالمجاهد الذى جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد و الصريح الخالص كاللبن الصريح وانما صار صريحا لما كرهوا تلك الوسواس الشيطانية ودفعوها فخلص الايمان فصار صريحا ولا بد لعامة الخلق من هذه الوسواس فمن الناس من يجيئها فصيير كافرا أو منافقا ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فإما أن يصير مؤمنا واما أن يصير منافقا ولهذا يعرض للناس من الوسواس فى الصلاة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الانابة الى ربه والتقرب اليه والاتصال به فلماذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوسواس

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 257-261

والشبهات ما ليس عند غيرهم لانه لم يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه فى غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدهم عن الله قال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} فاطر6 ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فان قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده يقينا وطمأنينة وشفاء وقال تعالى {وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} الإسراء82 وقال تعالى { هَذَا بَيِّنٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } آل عمران138 وقال تعالى { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة2 وقال تعالى { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدْتُهُمْ إِيْمَانًا } التوبة124 وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن فأمر الله القارئ اذا قرأ القرآن أن يستعيذ منه قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} {98} إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ {100} النحل98-100 فان المستعيذ بالله مستجير به لاجىء اليه مستغيث به من الشيطان فالعائد بغيره مستجير به فاذا عاد العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان ويجيره منه ولذلك قال الله تعالى {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} {34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} {35} وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {36} فصلت34-36 وفى الصحيحين عن النبي أنه قال انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه الشيطان عنه وعندما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنة وعندما يأمره الشيطان بالسئآت ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فأمر بالاستعاذة عندما يطلب الشيطان أن يوقعه فى شر أو يمنعه من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الإنسان أعظم رغبة فى العلم والعبادة واقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته فى ذلك أتم كان ما يحصل له أن سلمه الله من الشيطان أعظم وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم ولهذا قال الشعبي كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم وأهل السنة فى الإسلام كأهل الإسلام فى الملل وذلك ان كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وانما يضلهم علماؤهم فعلماءؤهم شرارهم والمسلمون على هدى وانما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءؤهم خيارهم وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة الظلمة وأولئك لهم نهمة فى العلم والعبادة فصار يعرض لهم من الوسواس التى تضلهم وهم يظنونها هدى فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كونوا ينايب العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان الثياب تعرفون فى أهل السماء وتخفون على أهل الأرض<sup>1</sup>

## النية اصل جميع الاعمال

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَالَوِينَ} {42} {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} {43} {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} {44} الحجر 39-44 النية لها ركنان احدهما ان ينوي العبادة و العمل و الثاني ان ينوي المعبود المعمول له فهو المقصود بذلك العمل و المراد به الذي عمل العمل من اجله كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنما الاعمال بالنيات و إنما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه فميز صلى الله عليه وسلم بين من كان عمله لله و من كان عمله لمال أو

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 272-285



نكاح و الذي يجب ان يكون العمل له هو الله سبحانه وحده لا شريك له فان هذه النية فرض في جميع العبادات بل هذه النية اصل جميع الاعمال و منزلتها منها منزلة القلب من البدن و لا بد في جميع العبادات ان تكون خالصة لله سبحانه كما قال تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} {2} أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} {3} {الزمر 2-3} وقال تعالى {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} {الزمر 11} قال تعالى {قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي} {الزمر 14} وقال تعالى {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} {غافر 14} وقال سبحانه {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {غافر 65} وقال {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} {الصفات 40} في عدة مواضع وقال تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء 146} وقال تعالى {وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِینُ الْقَیِّمَةِ} {البینة 5} و هذه الآيات كما دلت على فرض العبادة ففرضت العبادة و ان تكون لله خالصة و هذه حقيقة الاسلام و ما في القران من قوله اعبدوا الله و لا تشركوا به شیئا و قوله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاریات 56} و قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {الفاتحة 5} إلى غير ذلك من الآيات كلها تدل على هذا الاصل بل جماع مقصود الكتاب و الرسالة هو هذا و هو معنى قول لا اله الا الله و هو دين الله الذي بعث به جميع المرسلين و ضد هذه النية الرياء و السمعة و هو ارادة ان يرى الناس عمله و ان يسمعوا ذكره و هؤلاء الذين ذمهم الله تعالى في قوله {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} {4} الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} {5} الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ} {6} الماعون 4-6 و قال {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاؤُونَ النَّاسَ} {النساء 142} و من صلى بهذه النية فعمله باطل يجعله الله هباء منثورا و كذلك من ادى شيئا من الفرائض و الكلام في هذه النية و تفاصيلها لا يختص بعبادة دون عبادة اذ الفعل بدون هذه النية ليس عبادة اصلا الركن الثاني ان ينوي ما تتميز به عبادة عن عبادة فينوي الصلاة لتتميز عن سائر اجناس العبادات و ينوي صلاة الظهر مثلا لتتميز عن صلوات سائر الاوقات و هكذا في كل ما يميز تلك العبادة من غيرها سواء كانت مفروضة ام مستحبة و هذه النية هي التي يتكلم عليها في هذه المواضع اذ الكلام هنا في فروع الدين و شرائعه و تلك النية متعلقة باصل الدين و جماعه و الفقه في شرائع الدين و فروعه إنما هو بعد تحقيق اصوله اذ الفروع كمال الاصول و اتمامها<sup>1</sup>

## قلب الإيمان

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} {40} {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} {41} {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} {42} {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} {43} {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} {44} {الحجر 39-44} وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته في القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهى أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصرى ما يقوله فى قصائده فى مدح الرسول من الإستغاثة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستنجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجاد الصالحين والمتشبهين بهم والإستعانة بهم أحياء وأمواتا فإنى أنكرت ذلك فى مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من

<sup>1</sup> شرح العمدة ج: 4 ص: 576

الخاصة والعامه وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل36 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء25 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئَل الله وإذا استعنت فاستعن بالله<sup>1</sup>

## سبيل الحق والهدى هو الذى يسعد أصحابه وينالون به ولاية الله

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُوْبِيئُهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } {43} لَهَا سِنْعَةٌ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } {44} الحجر 39-44

فى آيات ثلاثة متناسبة متشابهة اللفظ والمعنى يخفى معناها على أكثر الناس قوله تعالى { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {42} الحجر 41-42 وقوله تعالى { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ } النحل9 وقوله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى } {12} وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى } {13} الليل 12-13 فلفظ هذه الآيات فيه أن السبيل الهدى هو على الله وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي فى الآية الأولى ثلاثة أقوال بخلاف الآيتين الأخرتين فإنه لم يذكر فيها إلا قولاً واحداً فقال فى تلك الآية اختلفوا فى معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال أحدها أنه يعنى بقوله هذا الإخلاص فالمعنى أن الإخلاص طريق إلى مستقيم و على بمعنى إلى و الثانى هذا طريق على جوازه لأنى بالمرصاد فأجازيهم بأعمالهم وهو خارج مخرج الوعيد كما تقول للرجل تخاصمه طريقك على فهو كقولك { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ } { الفجر 14 } و الثالث هذا صراط على إستقامته أى أنا ضامن لإستقامته بالبيان والبرهان قال وقرأ قتادة ويعقوب هذا صراط على أى رفيع قلت هذه الأقوال الثلاثة قد ذكرها من قبله كالثعلبي والواحدى والبغوي وذكروا قولاً رابعاً فقالوا واللفظ للبغوى وهو مختصر الثعلبي قال الحسن معناه صراط مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع إلى وعليه طريقه لا يعرج على شىء وقال الأخفش يعنى على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تقلت منى كما قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ } { الفجر 14 } وقيل معناه على إستقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية فذكروا الأقوال الثلاثة وذكروا قول الأخفش على الدلالة على الصراط المستقيم وهو يشبه القول الأخير لكن بينهما فرق فإن ذاك يقول على إستقامته الأدلة فمن سلكه كان على صراط مستقيم والآخر يقول على أن أدل الخلق عليه بإقامة الحجج فى كلا القولين أنه بين الصراط المستقيم بنصب الأدلة لكن هذا جعل الدلالة عليه وهذا جعل عليه إستقامته أى بيان إستقامته وهما متلازمان ولهذا والله أعلم لم يجعله أبو الفرج قولاً رابعاً وذكروا القراءة الأخرى عن يعقوب وغيره أى رفيع قال البغوي وعبر بعضهم عنه رفيع أن ينال مستقيم أن يمال قلت القول الصواب هو قول أئمة السلف قول مجاهد ونحوه فإنهم أعلم بمعانى القرآن لا سيما مجاهد فإنه قال عرضت المصحف على ابن عباس من فاتته إلى خاتمته أفقه عند كل آية وأسأله عنها وقال الثورى إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به والأئمة كالشافعى وأحمد والبخارى ونحوهم يعتمدون على تفسيره والبخارى فى صحيحه أكثر ما ينقله من التفسير ينقله عنه والحسن البصرى أعلم التابعين بالصرة وما ذكروه عن مجاهد ثابت عنه رواه الناس كابن أبى حاتم وغيره من تفسير ورقاء عن ابن أبى نجیح عن مجاهد فى قوله { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} الحجر 41 الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج على شىء وذكر عن قتادة أنه فسرها على قراءته وهو يقرأ على فقال فقال أى رفيع مستقيم وكذلك ذكر ابن أبى حاتم عن السلف أنهم فسروا آية النحل فروى من

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 71

طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله { قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 قال طريق الحق على الله وروى عن السدي انه قال الإسلام وعطاء قال هي طريق الجنة فهذه الأقوال قول مجاهد والسدي وعطاء في هذه الآية هي مثل مجاهد والحسن في تلك الآية وذكر ابن أبي حاتم من تفسير العوفي عن ابن عباس في قوله { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 يقول على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة وذكر ابن أبي حاتم في هذه الآية ولم يذكر في أية الحجر إلا قول مجاهد فقط وابن الجوزي لم يذكر في أية النحل إلا هذا القول الثاني وذكره عن الزجاج فقال { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 القصد إستقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد بك إلى ما تريد قال الزجاج المعنى وعلى الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين وكذلك الثعلبي والبغوي ونحوهما لم يذكرها إلا هذا القول لكن ذكره باللفظين قال البغوي يعني بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين قال والقصد الصراط المستقيم { وَمِنْهَا جَائِرٌ } النحل 9 يعني ومن السبيل ما هو جائر عن الإستقامة معوج فالقصد من السبيل دين الإسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر بن عبدالله { قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 بيان الشرائع والفرائض وقال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبدالله قصد السبيل السنة ومنها جائر الأهواء والبدع دليله قوله تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 ولكن البغوي ذكر فيها القول الآخر ذكره في تفسير قوله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى } الليل 12 عن الفراء كما سيأتى فقد ذكر القولين في الآيات الثلاث تبعا لما قبله كالثعلبي وغيره والمهدى ذكر في الآية الأولى قولين من الثلاثة وذكر في الثانية ما رواه العوفي وقولا آخر فقال قوله { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } الحجر 41 أى على أمرى وإرادتى وقيل هو على التهديد كما يقال على طريقك وإلى مصيرك وقال في قوله { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 قال ابن عباس أى بيان الهدى من الضلال وقيل السبيل الإسلام { وَمِنْهَا جَائِرٌ } النحل 9 أى ومن السبيل جائر أى عادل عن الحق وقيل المعنى وعنها جائر أى عن السبيل ف من بمعنى عن وقيل معنى { قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 سيركم ورجوعكم والسبيل واحدة بمعنى الجمع قلت هذا قول بعض المتأخرين جعل القصد بمعنى الإرادة أى عليه قصدكم للسبيل فى ذهابكم ورجوعكم وهو كلام من لم يفهم الآية فإن السبيل القصد هى السبيل العادلة أى عليه السبيل القصد و السبيل إسم جنس ولهذا قال { وَمِنْهَا جَائِرٌ } النحل 9 أى عليه القصد من السبيل ومن السبيل جائر فأضافه إلى إسم الجنس إضافة النوع إلى الجنس أى القصد من السبيل كما تقول ثوب خز ولهذا قال { قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 وأما من ظن أن التقدير قصدكم السبيل فهذا لا يطابق لفظ الآية ونظمها من وجوه متعددة وابن عطية لم يذكر فى آية الحجر إلا قول الكسائى وهو أضعف الأقوال وذكر المعنى الصحيح تفسيراً للقراءة الأخرى فذكر أن جماعة من السلف قرأوا على مستقيم من العلو والرفعة قال والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى الإخلاص لما إستثنى إبليس من أخلص قال الله له هذا الإخلاص طريق رفيع مستقيم لا تتال أنت بأغوائك أهله قال وقرأ جمهور الناس على مستقيم والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى إنقسام الناس إلى غاو ومخلص لما قسم إبليس هذين القسمين قال الله هذا طريق على أى هذا أمر إلى مصيره والعرب تقول طريقك فى هذا الأمر على فلان أى إليه يصير النظر فى أمرك وهذا نحو قوله { إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ } الفجر 14 قال والآية على هذه القراءة خبر يتضمن وعيدا قلت هذا قول لم ينقل عن احد من علماء التفسير لا فى هذه الآية ولا فى نظيرها وإنما قاله الكسائى لما اشكل لما اشكل عليه معنى الآية الذى فهمه السلف ودل عليه السياق والنظائر وكلام العرب لا يدل على هذا القول فإن الرجل وإن كان يقول لمن يتهدده ويتوعده على طريقك فإنه لا يقول إن طريقك مستقيم وأيضا فالوعيد إنما يكون للمسيء لا يكون للمخلصين فكيف يكون قوله هذا إشارة إلى إنقسام الناس إلى غاو ومخلص وطريق هؤلاء غير طريق هؤلاء هؤلاء سلكوا الطريق المستقيم التى تدل على الله وهؤلاء سلكوا السبيل الجائرة وأيضا فإنما يقول لغيره فى التهديد طريقك على من لا يقدر عليه فى الحال لكن ذاك يمر بنفسه عليه وهو متمكن منه كما كان أهل المدينة يتوعدون أهل مكة بأن طريقكم علينا لما تهددوهم بأنكم أويتم محمدا وأصحابه كما قال أبو جهل لسعد بن معاذ لما ذهب سعد إلى مكة لا أراك تطوف بالبيت أمنا وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم فقال لئن منعتنى هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة أو نحو هذا فذكر أن طريقهم فى متجرهم إلى الشام عليهم فيتمكنون حينئذ من جزائهم ومثل هذا المعنى لا يقال فى حق الله تعالى فإن الله قادر على العباد حيث كانوا كما قالت الجن { وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَكُنَّ نَجْرًا } الله فى الأرض ولن نُعْجِزَهُ هَرَبًا { الجن 12 } وقال { وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ } الشورى 31 وإذا كانت العرب تقول ما ذكره يقولون طريقك فى هذا الأمر على فلان أى إليه يصير أمرك فهذا يطابق تفسير مجاهد وغيره من السلف كما قال مجاهد الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج على شىء فطريق الحق على الله وهو

الصراط المستقيم الذي قال الله فيه **{ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ { الحجر 41** كما فسرت به القراءة الأخرى فالصراط في القرائتين هذا الصراط المستقيم الذي أمر الله المؤمنين أن يسألوه إياه في صلاتهم فيقولوا **{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {6}** صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {7} { الفاتحة 6-7 وهو الذي وصى به في قوله **{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ { الأنعام 153** وقوله هذا إشارة إلى ما تقدم ذكره وقوله **{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ { الحجر 40** فتعبد العباد له بإخلاص الدين له طريق يدل عليه وهو طريق مستقيم ولهذا قال بعده **{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ { الحجر 42** وابن عطية ذكر أن هذا معنى الآية في تفسير الآية الأخرى مستشهدا به مع أنه لم يذكره في تفسيرها فهو بفطرته عرف أن هذا معنى الآية ولكنه لما فسرهما ذكر ذلك القول كأنه هو الذي إتفق أن رأى غيره قد قاله هناك فقال رحمه الله وقوله **{ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ { النحل 9** وهذه أيضا من أجل نعم الله تعالى أى على الله تقويم طريق الهدى وتنبيهه وذلك بنصب الأدلة وبعث الرسل وإلى هذا ذهب المتأولون قال ويحتمل أن يكون المعنى أن من سلك السبيل القاصد فعلى الله طريقه وإلى ذلك مصيره فيكون هذا مثل قوله **{ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ { الحجر 41** وضد قول النبي **والشر ليس إليك** أى لا يفضى إلى رحمتك وطريق إلى رحمتك وطريق قاصد معناه بين مستقيم قريب ومنه قول الراجز بعيد عن نهج الطريق القاصد قال والألف واللام فى السبيل للعهد وهى سبيل الشرع وليست للجنس ولو كانت للجنس لم يكن منها جائر وقوله **{ وَمِنْهَا جَائِرٌ { النحل 9** يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعباد الأصنام والضمير فى **{ وَمِنْهَا { النحل 9** يعود على **{ السَّبِيلِ { النحل 9** التى يتضمنها معنى الآية كأنه قال ومن السبيل جائر فأعاد عليها وإن كان لم يجر لها ذكر لتضمن لفظه السبيل بالمعنى لها قال ويحتمل أن يكون الضمير فى **{ وَمِنْهَا { النحل 9** على سبيل الشرع المذكورة ويكون من للتبعيض ويكون المراد فرق الضلالة من أمة محمد كأنه قال ومن بنيات الطريق من هذه السبيل ومن شعبها جائر قلت سبيل أهل البدع جائرة خارجة عن الصراط المستقيم فيما ابتدعوا فيه ولا يقال إن ذلك من السبيل المشروعة وأما قوله إن قوله **{ قَصْدُ السَّبِيلِ { النحل 9** هى سبيل الشرع وهى سبيل الهدى والصراط المستقيم وأنها لو كانت للجنس لم يكن منها جائر فهذا أحد الوجهين فى دلالة الآية وهو مرجوح والصحيح الوجه الآخر أن السبيل اسم جنس ولكن الذى على الله هو القصد منها وهى سبيل واحد ولما كان جنسا قال **{ وَمِنْهَا جَائِرٌ { النحل 9** والضمير يعود على ما ذكر بلا تكلف وقوله لو كان للجنس لم يكن منها جائر ليس كذلك فإنها ليست كلها عليه بل إنما عليه القصد عليها وهى سبيل الهدى والجائر ليس من القصد وكأنه ظن أنه إذا كانت للجنس يكون عليه قصد كل سبيل وليس كذلك بل إنما عليه سبيل واحدة وهى الصراط المستقيم هى التى تدل عليه وسائرهما سبل الشيطان كما قال **{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ { الأنعام 153** وقد أحسن رحمه الله فى هذا الإحتمال وفى تمثيله ذلك بقوله **{ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ { الحجر 41** وأما آية الليل قوله **{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى { الليل 12** فابن عطية مثلها بهذه الآية لكنه فسرهما بالوجه الأول فقال ثم أخبر تعالى أن عليه هدى الناس جميعا أى تعريفهم بالسبيل كلها ومنهم الإدراك ومنهم الإدراك كما قال **{ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ { النحل 9** ثم كل أحد يتكسب ما قدر له وليست هذه الهداية بالإرشاد إلى الإيمان ولو كان كذلك لم يوجد كافر قلت وهذا هو الذى ذكره ابن الجوزى وذكره عن الزجاج قال الزجاج إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهذا التفسير ثابت عن قتادة رواه ابن عبد الحميد قال حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة **{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى { الليل 12** علينا بيان حاله وحرامه وطاعته ومعصيته وكذلك رواه ابن أبي حاتم فى تفسير سعيد عن قتادة فى قوله **{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى { الليل 12** يقول على الله البيان بيان حاله وحرامه وطاعته ومعصيته لكن قتادة ذكر أنه البيان الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه فتبين به حاله وحرامه وطاعته ومعصيته وأما الثعلبى والواحدى والبغوى وغيرهم فذكروا القولين وزادوا أقوالا أخر فقالوا واللفظ للبغوى **{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى { الليل 12** يعنى البيان قال الزجاج علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وهو قوله قتادة قال على الله بين حاله وحرامه وقال الفراء يعنى من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى **{ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ { النحل 9** يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد قال وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلال كقوله بيدك الخير قلت هذا القول هو من الأقوال المحدثة التى لم تعرف عن السلف وكذلك ما أشبه فإنهم قالوا معناه بيدك الخير والشر والنبي فى الحديث الصحيح يقول والخير بيدك والشر ليس إليك والله تعالى خالق كل شيء لا يكون فى ملكه إلا ما يشاء والقدر حق لكن فهم القرآن ووضع كل شيء موضعه وبيان حكمة الرب وعدله مع الإيمان بالقدر هو طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد ذكر المهودى الأقوال الثلاثة فقال إن علينا لله للهدى والضلال فحذف قتادة المعنى إن علينا بيان الحلال

والحرام وقيل المعنى إن علينا أن نهدي من سلك سبيل الهدى قلت هذا هو قول الفراء لكن عبارة الفراء أبين في معرفة هذا القول فقد تبين أن جمهور المتقدمين فسروا الآيات الثلاث بأن الطريق المستقيم لا يدل إلا على الله ومنهم من فسرها بأن عليه بيان الطريق المستقيم والمعنى الأول متفق عليه بين المسلمين وأما الثاني فقد يقول طائفة ليس على الله شيء لا بيان هذا ولا هذا فإنهم متنازعون هل أوجب على نفسه كما قال { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 54 وقوله { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ { الروم 47 وقوله { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا { هود 6 وإذا كان عليه بيان الهدى من الضلال وبيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فهذا يوافق قول من يقول إن عليه إرسال الرسل وإن ذلك واجب عليه فإن البيان لا يحصل إلا بهذا وهذا يتعلق بأصل آخر وهو أن كل ما فعله فهو واجب منه

أوجبته مشيئته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فما شاءه وجب وجوده وما لم يشأه امتنع وجوده وبسط هذا موضع آخر ودلالة الآيات على هذا فيها نظر وأما المعنى المتفق عليه فهو مراد من الآيات الثلاث قطعاً وأنه أرشد بها إلى الطريق المستقيم وهي الطريق القصد وهي الهدى إنما تدل عليه وهو الحق طريقه على الله لا يعرج عنه لكن نشأت الشبهة من كونه قال { عَلَيْنَا { الليل 12 بحرف الإستعلاء ولم يقل إلينا والمعروف أن يقال لمن يشار إليه أن يقال هذه الطريق إلى فلان ولمن يمر به ويجتاز عليه أن يقول طريقنا على فلان وذكر هذا المعنى بحرف الإستعلاء وهو من محاسن القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء فإن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلكوا كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ { الانشقاق 6 وقال { وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ { آل عمران 28 { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ { الغاشية 25 أي إلينا مرجعهم وقال { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ يُرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ { 60 } وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ { 61 } ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ { 62 } { الأنعام 60-62 وقال { أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ { 36 } وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ { 37 } { أَلَا تَذَرُونَ وَزُرَّ وَزُرَّ { 38 } { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ { 39 } { وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ { 40 } { ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ { 41 } { وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ { 42 } { النجم 36-42 وقال { وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ { يونس 46 فأى سبيل سلكها العبد فالإله مرجعه ومنتهاه لا بد له من لقاء الله { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ { النجم 31 وتلك الآيات قصد بها أن سبيل الحق والهدى وهو الصراط المستقيم هو الذي يسعد أصحابه وينالون به ولاية الله ورحمته وكرامته فيكون الله وليهم دون الشيطان وهذه سبيل من عبادة الله وحده وأطاع رسله فلماذا قال { إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ { الليل 12 { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ { النحل 9 { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ { الحجر 41 فالهدى وقصد السبيل والصراط المستقيم إنما يدل على عبادته وطاعته لا يدل على معصيته وطاعة الشيطان فالكلام تضمن معنى الدلالة إذ ليس المراد ذكر الجزاء في الآخرة فإن الجزاء يعم الخلق كلهم بل المقصود بيان ما أمر الله به من عبادته وطاعته وطاعة رسله ما الذي يدل على ذلك فكأنه قيل الصراط المستقيم يدل على الله على عبادته وطاعته وذلك يبين أن من لغة العرب أنهم يقولون هذه الطريق على فلان إذا كانت تدل عليه وكان هو الغاية المقصود بها وهذا غير كونها عليه بمعنى أن صاحبها يمر عليه وقد قيل فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقى أو على طريقها وهو كما قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله فالمقصود بالسبيل هو الذي يدل ويوقع عليه كما يقال إن سلكت هذه السبيل وقعت على المقصود ونحو ذلك وكما يقال على الخير سقطت فإن الغاية المطلوبة إذا كانت عظيمة فالسالك يقع عليها ويرمى نفسه عليها وأيضاً فسالك طريق الله متوكل عليه فلا بد له من عبادته ومن التوكل عليه فإذا قيل عليه الطريق المستقيم تضمن أن سالكه عليه يتوكل وعليه تدل الطريق وعلى عبادته وطاعته يقع ويسقط لا يعدل عن ذلك إلى نحو ذلك من المعانى التي يدل عليها حرف الإستعلاء دون حرف الغاية وهو سبحانه قد أخبر أنه على صراط مستقيم فعليه الصراط المستقيم وهو على صراط مستقيم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً والله أعلم<sup>1</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 198-216 و دقائق التفسير ج: 3 ص: 142-153

## محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله وأجل قواعده

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُوَيْبِتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ {44} الحجر 39-44

إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد الله على ما يستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالتوعين للمحبة وأما الرضا به وبدينه و برسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول فصل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أوصله وأجل قواعده بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة او عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً بل جميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذي أشرك وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي بل إخلاص الذين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وابلis انه قال { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {83} ص 82-83 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل 99-100 فبين ان سلطان الشيطان واغواءه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 واتباع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 وقد قال سبحانه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه ومادونه يغفره لمن يشاء واما قوله { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر 53 فتلك في حق التائبين ولهذا عم واطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الأولين والآخرين انما امروا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي على ابي لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة إبلاغ وإسماع بخصوصه فقال { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ {4} وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } {5} البينة 4-5 الآية وهذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وجميع الرسل افتتحو دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول <sup>1</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 50-51 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 60

## عباده هم الذين عبده بما أمرت به رسله

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} {40} { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {42} { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } {43} { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } {44} { الحجر 39-44 } وقال تعالى { هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ } {221} { تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ } {222} { الشعراء 221-222 } فالآفاك هو الكذاب والأثيم الفاجر كما قال { لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ } {15} { نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ } {16} { العلق 15-16 } ومن تكلم في الدين بلا علم كان كاذبا وإن كان لا يتعمد الكذب كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قالت له سبيعة الأسلمية وقد توفي عنها زوجها سعد بن خولة في حجة الوداع فكانت حاملا فوضعت بعد موت زوجها بليال قلائل فقال لها أبو السنابل بن بعكك ما أنت بناكحة حتى يمضي عليك آخر الأجلين فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب أبو السنابل بل حلت فانكحي وكذلك لما قال سلمة بن الأكوع إنهم يقولون أن عامرا قتل نفسه وحبط عمله فقال كذب من قالها إنه لجاهد مجاهد وكان قائل ذلك لم يتعمد الكذب فإنه كان رجلا صالحا وقد روى أنه كان أسيد بن الحضير لكنه لما تكلم بلا علم كذبه النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال أبو بكر وابن مسعود وغيرهما من الصحابة فيما يفتون فيه باجتهادهم إن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فهو مني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه فإذا كان خطأ المجتهد المغفور له هو من الشيطان فكيف بمن تكلم بلا إجتهد بيبح له الكلام في الدين فهذا خطأه أيضا من الشيطان مع أنه يعاقب عليه إذا لم يتب والمجتهد خطؤه من الشيطان وهو مغفور له كما أن الاحتلام والنسيان وغير ذلك من الشيطان وهو مغفور بخلاف من تكلم بلا إجتهد بيبح له ذلك فهذا كذب أثم في ذلك وإن كانت له حسنات في غير ذلك فإن الشيطان ينزل على كل إنسان ويوحى بحسب موافقته له ويطرد بحسب إخلاصه لله وطاعته له قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } { الحجر 42 } وعباده هم الذين عبده بما أمرت به رسله من أداء الواجبات والمستحبات وأما من عبده بغير ذلك فإنه من عباد الشيطان لا من عباد الرحمن قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } {60} { وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } {61} { وَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } {62} { يس 60-62 }<sup>1</sup>

## ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذي هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} {40} { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {42} { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } {43} { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } {44} { الحجر 39-44 } أن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي إليه تصير الحادثات فهو الأصل الجامع فالعلم به أصل كل علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه والعمل له أصل كل عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته وإذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع وإما فضول غير نافعة وإما أمر مضر ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم ومن عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة والقلب بعبادته والاستعانة به معتمص مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق واعتصم بالدليل الهادي والبرهان الوثيق فلا يزال إما في زيادة العلم والإيمان وإما في السلامة عن الجهل والكفر وبهذا جاءت النصوص الإلهية في أنه بالإيمان يخرج الناس من

<sup>1</sup> الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 272-275

الظلمات الى النور وضرب مثل المؤمن وهو المقر بربه علما وعملا بالحي والبصير والسميع والنور والظل وضرب مثل الكافر بالميت والأعمى والأصم والظلمة والحرور وقالوا في الوسواس الخناس هو الذى اذا ذكر الله خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس فتبين بذلك أن ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذى هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم وقال الله تعالى **{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42** وقال **{ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } النحل 99** وقال **{ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } آل عمران 101** ونحو ذلك من النصوص<sup>1</sup>

## الشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان

قال تعالى **{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 39** **{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 40** **{ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } 41** **{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } 42** **{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } 43** **{ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } 44** **{ الحجر 39-44** ثبت فى الصحيح من حديث أبى هريرة لما قال له الجنى اقرأ آية الكرسي إذا أويت الى فراشك فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى صدقك وهو كذوب و منها أن يستعيذ بالله من الشياطين و منها أن يستعيذ بالعود الشرعية فإن الشياطين كانت تعرض للأنبياء فى حياتهم وتريد أن تؤذيهم وتفسد عبادتهم كما جاءت الجن الى النبى بشعلة من النار تريد أن تحرقه فأتاه جبريل بالعودة المعروفة التى تضمنها الحديث المروى عن أبى التياح أنه قال سأل رجل عبد الرحمن بن حبيش وكان شيخا كبيرا قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم كيف صنع رسول الله حين كادته الشياطين قال تحدرت عليه من الشعاب والأودية وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله قال فرعب رسول الله فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل قال ما أقول قال قل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرا ويرا ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما يخرج من الأرض ومن شر ما ينزل فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن قال فطفئت نارهم وهزمهم الله عز وجل وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جاء يفتك بى البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله عز وجل منه فذعته فأردت أن أخذه فأربطه الى سارية من المسجد حتى تصبحوا فتنظروا اليه ثم ذكرت قول سليمان عليه السلام رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى فرده الله تعالى خاسئا وعن عائشة أن النبى كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقا حتى يراه الناس أخرجه النسائى واسناده على شرط البخارى كما ذكر ذلك أبو عبد الله المقدسى فى مختاره الذى هو خير من صحيح الحاكم وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله كان يصلى صلاة الصبح وهو خلفه فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعى هاتين الإبهام والتى تليها ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل رواه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء أنه قال قام رسول الله يصلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من صلاته قلنا يا رسول الله سمعناك تقول شيئا فى الصلاة لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ان عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فاستأخر ثم أردت أن أخذه ولولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان المدينة فإذا كانت الشياطين تأتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتؤذيهم وتفسد عبادتهم فيدفعهم الله تعالى بما يؤيد به الأنبياء من الدعاء والذكر والعبادة ومن الجهاد باليد فكيف من هو دون الأنبياء

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 17



فالنبي قمع شياطين الإنس والجن بما أيده الله تعالى من أنواع العلوم والأعمال ومن أعظمها الصلاة والجهاد وأكثر أحاديث النبي في الصلاة والجهاد فمن كان متبعا للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء وأما من ابتدع ديناً لم يشرعوه فترك ما أمروا به من عبادة الله وحده لا شريك له واتباع نبيه فيما شرعه لأمته وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم فإن هذا تتلعب به الشياطين قال تعالى { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل 99-100 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 و منها أن يدعو الرائي بذلك ربه تبارك وتعالى ليبين له الحال و منها أن يقول لذلك الشخص أنت فلان ويقسم عليه بالاقسام المعظمة ويقرأ عليه قوارع القرآن الى غير ذلك من الأسباب التي تضر الشياطين وهذا كما أن كثيراً من العباد يرى الكعبة تطوف به ويرى عرشاً عظيماً وعليه صورة عظيمة ويرى أشخاصاً تصعد وتنزل فيظنها الملائكة ويظن أن تلك الصورة هي الله تعالى وتقدس ويكون ذلك شيطاناً وقد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس فمنهم من عصمه الله وعرف أنه الشيطان كالشيخ عبدالقادر في حكايته المشهورة حيث قال كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور فقال لي يا عبدالقادر أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك قال فقلت له أنت الله الذي لا إله إلا هو اخساً يا عدو الله قال فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقال يا عبد القادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً فليل له كيف علمت أنه الشيطان قال بقوله لي حللت لك ما حرمت على غيرك وقد علمت أن شريعة محمد لا تتسخ ولا تبدل ولأنه قال أنا ربك ولم يقدر أن يقول أنا الله الذي لا إله إلا أنا ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئى هو الله وصار هو وأصحابه يعتقدون أنهم يرون الله تعالى في اليقظة ومستندهم ما شاهدوه وهم صادقون فيما يخبرون به ولكن لم يعلموا أن ذلك هو الشيطان وهذا قد وقع كثيراً لطوائف من جهال العباد يظن أحدهم أنه يرى الله تعالى بعينه في الدنيا لأن كثيراً منهم رأى ما ظن أنه الله وإنما هو شيطان وكثير منهم رأى من ظن أنه نبي أو رجل صالح أو الخضر وكان شيطاناً وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال من رأى في المنام فقد رأى حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي فهذا في رؤية المنام لأن الرؤية في المنام تكون حقا وتكون من الشيطان فمنعه الله أن يتمثل به في المنام وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا فمن ظن أن المرئى هو الميت فإنما أتى من جهله ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وبعض من رأى هذا أو صدق من قال أنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول ومنهم من يقول هذه رقيقة ذلك المرئى أو هذه روحانيته أو هذا معناه تشكل ولا يعرفون أنه جنى تصور بصورته ومنهم من يظن أنه ملك والملك يتميز عن الجنى بأمور كثيرة والجن فيهم الكفار والفساق والجهال وفيهم المؤمنون المتبعون لمحمد تسليماً فكثير ممن لم يعرف أن هؤلاء جن وشياطين يعتقدهم ملائكة وكذلك الذين يدعون الكواكب وغيرها من الأوثان تنزل على أحدهم روح يقول هي روحانية الكواكب ويظن بعضهم أنه من الملائكة وإنما هو من الجن والشياطين يغوون المشركين والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكشف بها وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل وتمريض ونحو ذلك<sup>1</sup>

## صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار اليه

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } {44} الحجر 28-44 فإن الله تعالى أمر المسلمين بالصلاة والزكاة فالصلاة حق الحق في الدنيا والآخرة والزكاة حق الخلق فالرسول أمر

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 169-172

الناس بالقيام بحقوق الله وحقوق عباده بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فالذى شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد فى المعاش والمعاد وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد فى المعاش والمعاد فإن الله تعالى أمر المؤمنين بعبادته والإحسان الى عباده كما قال تعالى {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ {النساء} 36 وهذا أمر بمعالي الأخلاق وهو سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها وقد روى عنه أنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق رواه الحاكم فى صحيحه وقد ثبت عنه فى الصحيح صلى الله عليه وسلم أنه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وقال اليد العليا هى المعطية واليد السفلى السائلة وهذا ثابت عنه فى الصحيح فأين الإحسان الى عباده من إيدائهم بالسؤال والشحاذة لهم وأين التوحيد للخالق بالرغبة اليه والرجاء له والتوكل عليه والحب له من الإشراف به بالرغبة الى المخلوق والرجاء له والتوكل عليه وأن يحب كما يحب الله وأين صلاح العبد فى عبودية الله والذل له والافتقار اليه من فساده فى عبودية المخلوق والذل له والافتقار اليه فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التى تصلح أمور أصحابها فى الدنيا والآخرة ونهى عن الأنواع الثلاثة التى تفسد أمور أصحابها ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول قال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {الحجر} 42<sup>1</sup>

## أصل الشر عبادة النفس والشيطان

قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوَيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّفْسُومٌ {44} الحجر 28-44 فاصل الشر عبادة النفس والشيطان وجعلهما شريكين للرب وأن يعدلا به ونفس الإنسان تفعل الشر بأمر الشيطان وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وهذا من تمام تحقيق قوله تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا {79} النساء 79 مع قوله تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {الحجر} 42 وقد ظهرت دعوى النفس الإلهية فى فرعون ونحوه ممن ادعى أنه إله مع الله أو من دونه وظهرت فىمن ادعى إلهية بشر مع الله كالمسيح وغيره<sup>2</sup>

فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله وعملا صالحا وثبت عنه أنه قال المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو اليها وهو الى جهاد نفسه أحوج فإن هذا فرض عين وذلك فرض كفاية والصبر فى هذا من أفضل الأعمال فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد كما قال والمهاجر من هجر السيئات ثم هذا لا يكون محمودا فيه الا اذا غلب بخلاف الأول فإنه من يقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة الخ وذلك لأن الله أمر الانسان أن ينهى النفس عن الهوى وأن يخاف مقام ربه فحصل له من الايمان ما يعينه على الجهاد فإذا غلب كان

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 196

<sup>2</sup>الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 115

لضعف ايمانه في كون مفرطاً بترك المأمور بخلاف العدو الكفار فإنه قد يكون بدنه أقوى فالذنوب انما تقع اذا كانت النفس غير ممثلة لما أمرت به ومع امتثال المأمور لا تفعل المحذور فإنهما ضدان قال تعالى {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 الآية وقال {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 فعباد الله المخلصون لا يغيوهم الشيطان والغي خلاف الرشد وهو اتباع الهوى فإن ذلك يصرف عنه سوءه والفحشاء خشية ومحبة والعبادة له وحده وهذا يمنع من السيئات فإذا كان تائباً فإن كان ناقصاً فوقعت السيئات من صاحبه كان ماحياً لها بعد الوقوع فهو كالترياق الذي يدفع أثر السم ويرفعه بعد حصوله وكالغذاء من الطعام والشراب<sup>1</sup>

## الوعد بالجنة علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح

قال تعالى {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} 45 {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ} 46 {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} 47 {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ} 48 {الحجر 45-48} فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الإسلام واخباره أنه دينه الذي ارتضاه وأنه لا يقبل ديناً غيره ومع هذا فما قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} التوبة 72 فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد بالعمل الصالح كقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} النساء 122 الآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من اتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسم مؤمناً وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان وهذا أيضاً مما استدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} الحجر 45 وقوله {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} المطففين 22 وباسم أولياء الله كقوله {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62 {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} 64} يونس 62-64 فلما لم يجر اسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن اسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يشيبه على طاعته مثل أن يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من ايمان<sup>2</sup>

## التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله وأن تترك معصية الله على نور

### من الله

قال تعالى {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} 45 {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ} 46 {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} 47 {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ} 48 {الحجر 45-48} عامة الأسماء يتنوع مسماهما بالإطلاق والتقييد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محذور قال

<sup>1</sup> الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 69

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 348

طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ {54} فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ {55} القمر 54-55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ {3} الطلاق 2-3 وقوله { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } يوسف 90 وقوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } النساء 1<sup>1</sup>

## الرد على استدلال الرافضي بقوله تعالى { إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } على إمامة علي

قال الرافضي المنهج الثاني في الأدلة المأخوذة من القرآن والبراهين الدالة على إمامة علي من الكتاب العزيز كثيرة قوله تعالى { **إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** } الحجر 47 من مسند احمد بإسناده إلى زيد بن أبي أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فذكر قصة مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين فعلت بأصحابك فان كان هذا من سخط الله علي فلك العقبى والكرامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق نبيا ما اخترتك لا لنفسى فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي و أنت أخي ووارثي و أنت معي في قصري في الجنة و مع ابنتي فاطمة فأنت أخي و رفيقي ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم { **إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** } الحجر 47 المتحابين في الله ينظر بعضهم إلى بعض والمؤاخاة تستدعي المناسبة و المشاكلة فلما اختص علي بمؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الإمام و الجواب من وجوه أحدها المطالبة بصحة هذا الإسناد وليس هذا الحديث في مسند احمد ولا رواه احمد قط لا في المسند ولا في الفضائل ولا ابنه فقول هذا الرافضي من مسند احمد كذب و افتراء على المسند و إنما هو من زيادات القطيعي التي فيها من الكذب الموضوع ما اتفق أهل العلم على انه كذب موضوع رواه القطيعي عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا حسين بن محمد الذارع حدثنا عبد المؤمن بن عباد حدثنا يزيد بن معن عن عبد الله بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى و هذا الرافضي لم يذكره بتمامه فان فيه عند قوله و أنت أخي و وارثي قال و ما ارث منك يا رسول الله قال ما ورث الأنبياء من قبلي قال و ما ورث الأنبياء من قبلك قال كتاب الله و سنة نبيهم و هذا الإسناد مظلم انفرد به عبد المؤمن بن عباد أحد المجروحين ضعفه أبو حاتم عن يزيد بن معن و لا يدري من هو فلعله الذي اختلقه عن عبد الله بن شرحبيل و هو مجهول عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى الوجه الثاني أن هذا مكذوب مفترى باتفاق أهل المعرفة الثالث أن أحاديث المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض و الانصار بعضهم مع بعض كلها كذب و النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ عليا و لا أخي بين أبي بكر و عمر و لا بين مهاجري و مهاجري لكن أخي بين المهاجرين و الأنصار كما أخي بين عبد الرحمن بن عوف و سعد بن الربيع و بين سلمان الفارسي و أبي الدرداء و بين علي و سهل بن حنيف وكانت المؤاخاة في دور بني النجار كما اخبر بذلك انس في الحديث الصحيح لم تكن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر في الحديث الموضوع و إنما كانت في دار كان لبعض بني النجار و بناه في محلته فالمؤاخاة التي اخبر بها انس ما في الصحيحين عن عاصم بن سليمان الأحول قال قلت لأنس أبلغت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الإسلام فقال انس قد حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش و الأنصار في داري الرابع أن قوله في هذا الحديث أنت أخي و وارثي باطل على قول أهل السنة و الشيعة فانه أن أراد ميراث المال بطل قولهم أن فاطمة ورتته و كيف يرث ابن العم مع وجود العم و هو العباس و ما الذي خصه بالإرث دون سائر بني العم الذين هم في درجة واحدة و أن أراد وارث العلم و الولاية بطل احتجاجهم بقوله { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ } النمل 16 و قوله { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا } {5} يَرِثُنِي } {6} مريم 5-6 إذ لفظ الإرث إذا كان محتملا لهذا و لهذا أمكن أن أولئك الأنبياء

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

ورثوا كما ورث علي النبي صلى الله عليه وسلم و أما أهل السنة فيعلمون أن ما ورثه النبي صلى الله عليه وسلم من العلم لم يختص به علي بل كل من أصحابه حصل له نصيب بحسبه و ليس العلم كالمال بل الذي يرثه هذا يرثه هذا و لا يتزاحمان إذ لا يمتنع أن يعلم هذا ما علمه هذا كما يمتنع أن يأخذ هذا المال الذي أخذه هذا الوجه الخامس أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اثبت الاخوة لغير علي كما في الصحيحين انه قال لزيد أنت أخونا و مولانا و قال له أبو بكر لما خطب ابنته الست أخي قال أنا أخوك و بنتك حلال لي و في الصحيح انه قال في حق أبي بكر و لكن اخوة الإسلام وقال في الصحيح أيضا وددت أن قد رأيت إخواني قالوا اولسنا إخوانك يا رسول الله قال لا انتم أصحابي و لكن إخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي و لم يروني يقول انتم لكم من الاخوة ما هو أخص منها و هو الصحبة و أولئك لهم اخوة بلا صحبة و قد قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} الحجرات 10 و قال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا و لا تحاسدوا و كونوا عباد الله إخوانا أخرجاه في الصحيحين و قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه و قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه و هذه الأحاديث و أمثالها في الصحاح و إذا كان كذلك علم أن مطلق المؤاخاة لا يقتضي التماثل من كل وجه و لا يقتضي المناسبة و المشاكلة من كل وجه بل من بعض الوجوه و إذا كان كذلك فلم قيل أن مؤاخاة علي لو كانت صحيحة اقتضت الإمامة و الأفضلية مع أن المؤاخاة مشتركة و ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح من غير وجه انه قال لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً و لكن صاحبكم خليل الله لا يبقين في المسجد خوذة إلا سدت إلا خوذة أبي بكر أن أمن الناس علينا في صحبته و ذات يده أبو بكر و في هذا إثبات لخصائص لأبي بكر لا يشركه فيها أحد غيره و هو صريح في انه ليس من أهل الأرض من هو احب إليه و لا أعلى منزلة عنده و لا ارفع درجة و لا اكثر اختصاصا به من أبي بكر كما في الصحيحين قيل له أي الناس احب إليك قال عائشة قيل و من الرجال قال أبوها و في الصحيحين عن عمر انه قال أنت سيدنا و خيرنا و احبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه الأحاديث التي اجمع أهل العلم على صحتها و تلقاها بالقبول و لم يقدر فيها أحد من العلم تبين أن أبا بكر كان احب إليه و أعلى عنده من جميع الناس و حينئذ فان كانت المؤاخاة دون هذه المرتبة لم تعارضها و أن كانت أعلى كانت هذه الأحاديث الصحيحة تدل على كذب أحاديث المؤاخاة و أن كنا نعلم أنها كذب بدون هذه المعارضة لكن المقصود أن هذه الأحاديث الصحيحة تبين أن أبا بكر كان احب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي و أعلى قدرا عنده منه و من كل من سواه و شواهد هذا كثيرة و قد روى بضعة و ثمانون نفسا عن علي انه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رواها البخاري في الصحيح عن علي رضي الله عنه و هذا هو الذي يليق بعلي رضي الله عنه فانه من اعلم الصحابة بحق أبي بكر و عمر و اعرفهم بمكانهما من الإسلام و حسن تأثيرهما في الدين حتى انه تمنى أن يلقي الله بمثل عمل عمر رضي الله عنهم أجمعين و روى الترمذي وغيره مرفوعا عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هذان سيدي كهول أهل الجنة من الأولين و الآخرين لا تخبرهما يا علي و هذا الحديث و أمثاله لو عورض بها أحاديث المؤاخاة و أحاديث الطير ونحوه لكانت باتفاق المسلمين اصح منها فكيف إذا انضم إليها سائر الأحاديث التي لا شك في صحتها مع الدلائل الكثيرة المتعددة التي توجب علما ضروريا لمن علمها أن أبا بكر كان احب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم و افضل عنده من عمر و عثمان و علي وغيرهم و كل من كان بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و أحواله اعلم كان بهذا اعرف و إنما يستريب فيه من لا يعرف الأحاديث الصحيحة من الضعيفة فأما أن يصدق الكل أو يتوقف في الكل و أما أهل العلم بالحديث الفقهاء فيه فيعلمون هذا علما ضروريا دع هذا فلا ريب أن كل من له في الأمة لسان صدق من علمائها و عبادها متفقون على تقديم أبي بكر و عمر كما قال الشافعي رضي الله عنه فيما نقله عنه البيهقي بإسناده قال لم يختلف أحد من الصحابة و التابعين في تفضيل أبي بكر و عمر رضي الله عنهما و تقديمهما على جميع الصحابة و كذلك أيضا لم يختلف علماء الإسلام في ذلك كما هو قول مالك و أصحابه و أبي حنيفة و أصحابه و احمد و أصحابه و داود و أصحابه و الثوري و أصحابه و الليث و أصحابه و الأوزاعي و أصحابه و إسحاق و أصحابه و ابن جرير و أصحابه و أبي ثور و أصحابه و كما هو قول سائر العلماء المشهورين إلا من لا يؤبه له و لا يلتفت إليه و ما علمت من نقل عنه في ذلك نزاع من أهل الفتيا إلا ما نقل عن الحسن بن صالح بن حي انه كان يفضل عليا و قيل أن هذا كذب عليه و لو صح هذا عنه لم يقدر فيما نقله الشافعي من الإجماع فان الحسن بن صالح لم يكن مكن التابعين و لا من الصحابة و الشافعي ذكر إجماع الصحابة و التابعين على تقديم أبي بكر و لو قاله الحسن فإذا أخطأ واحد من مائة ألف إمام أو اكثر لم يكن ذلك بمنكر و ليس في شيوخ الرافضة إمام في شيء من علوم الإسلام لا علم الحديث و لا الفقه و لا التفسير و لا القرآن بل شيوخ الرافضة أما

جاهل و أما زنديق كشيوخ أهل الكتاب بل السابقون الأولون و أئمة السنة و الحديث متفقون على تقديم عثمان و مع هذا انهم لم يجتمعوا على ذلك رغبة و لا رهبة بل مع تباين آرائهم و أهوائهم و علومهم و اختلافهم و كثرة اختلافاتهم فيما سوى ذلك من مسائل العلم فأئمة الصحابة و التابعين رضي الله عنهم متفقون على هذا ثم من بعدهم كمالك بن انس و ابن أبي ذئب و عبد العزيز بن الماجشون و غيرهم من علماء المدينة و مالك يحكي الإجماع عن لقيه انهم لم يختلفوا في تقديم أبي بكر و عمر و ابن جريج و ابن عيينة و سعد بن سالم و مسلم بن خالد و غيرهم من علماء مكة و أبي حنيفة و الثوري و شريك بن عبد الله و ابن أبي ليلى و غيرهم من فقهاء الكوفة و هي دار الشيعة حتى كان الثوري يقول من قدم عليا على أبي بكر ما أرى أن يصعد له إلى الله عمل رواه أبو داود في سننه و حماد بن زيد و حماد بن سلمة و سعيد بن أبي عروبة و أمثالهم من علماء البصرة و الاوزاعي و سعيد بن عبد العزيز و غيرهم من علماء الشام و الليث و عمرو بن الحارث و ابن وهب و غيرهم من علماء مصر ثم مثل عبد الله بن المبارك و وكيع بن الجراح و عبد الرحمن بن مهدي و أبي يوسف و محمد بن الحسن و مثل الشافعي و احمد بن حنبل و اسحق ابن إبراهيم و إبي عبيد و مثل للبخاري و أبي داود و إبراهيم الحربي و مثل الفضيل بن عياض و أبي سليمان الداراني و معروف الكرخي و السري السقطي و الجنيد و سهل بن عبد الله التستري و من لا يحصي عدده إلا الله ممن له في الإسلام لسان صدق كلهم يجزمون بتقديم أبي بكر و عمر كما يجزمون بإمامتهما مع فرط اجتهادهم في متابعة النبي صلى الله عليه و سلم و موالاته فهل يوجب هذا إلا ما علموه من تقديمه هو لأبي بكر و عمر و تفضيله لهما بالمحبة و الثناء و المشاورة و غير ذلك من أسباب التفضيل<sup>1</sup>

## البلاغة بلوغ غاية المطلوب من المعاني بآتم ما يكون من البيان

قال تعالى {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {49} {وَ أَنَّ عَدَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} {50} الحجر 49-50 وليست الفصاحة التشويق في الكلام والتعريف في الكلام ولا سجع الكلام ولا كان في خطبة علي ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلف الأسجاع ولا تكلف التحسين الذي يعود إلى مجرد اللفظ الذي يسمى علم البديع كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشعر وما يوجد في القرآن من مثل قوله { وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } الكهف 104 و {إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ} العاديات 11 ونحو ذلك فلم يتكلف لأجل التجانس بل هذا تابع غير مقصود بالقصد الأول كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر ولم يقصد به الشعر كقوله تعالى { وَجَفَّانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ } سبأ 13 وقوله {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {49} {وَ أَنَّ عَدَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} {50} الحجر 49-50 وقوله { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ } {2} {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} {3} الشرح 2-3 ونحو ذلك وإنما البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالى { وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } النساء 63 هي علم المعاني والبيان فيذكر من المعاني ما هو أكمل مناسبة للمطلوب ويذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب أو غاية الممكن من المعاني بآتم ما يكون من البيان فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة وبين تبيينها بأحسن وجه ومن الناس من تكون همته إلى المعاني ولا يوفيهها حقها من الألفاظ المبينة ومن الناس من يكون مبينا لما في نفسه من المعاني لكن لا تكون تلك المعاني محصلة للمقصود المطلوب في ذلك المقام فالمخبر مقصودة تحقيق المخبر به فإذا بينه وبين ما يحقق ثبوته لم يكن بمنزلة الذي لا يحقق ما يخبر به أو لا يبين ما يعلم به ثبوته والأمر مقصودة تحصيل الحكمة المطلوبة فمن أمر ولم يحكم ما أمر به أو لم يبين الحكمة في ذلك لم يكن بمنزلة الذي أمر بما هو حكمة وبين وجه الحكمة فيه وأما تكلف الأسجاع والأوزان والجناس والتطبيق ونحو ذلك مما تكلفه متأخروا الشعراء والخطباء والمرسلين والوعاظ فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم ولا كان ذلك مما يهتم به العرب وغالب من يعتمد ذلك يزخر اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني كالمجاهد الذي يزخر السلاح وهو جبان<sup>2</sup>

<sup>1</sup> منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 277-283

<sup>2</sup> منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 53-55

## الله سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء

هو سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه وهو الغفور الودود الحلیم الرحيم فأرادته أصل كل خير ونعمة وكل خير ونعمة فمنه وقد قال سبحانه { **نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ** } 49 { **ثُمَّ قَالَ { وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** } 50 { **الْحَجَر 49-50** } وقال تعالى { **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غُفُورٌ رَحِيمٌ** } المائدة 98 فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه فهي من موجب نفسه المقدسة ومقتضاها ولوازمها وأما العذاب فمن مخلوقاته الذي خلقه بحكمته هو باعتبارها حكمة ورحمة فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه وجوده ولا يأتيه الشر إلا من نفسه فما أصابه من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه<sup>1</sup>

## الشر لم يرد في أسماء الله وإنما ورد في مفعولاته

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلق سحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قبلاً وأحسن حديثاً من خلقه وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه { **نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ** } الحجر 49<sup>2</sup>

قالت طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وكثير من المتفلسفة جميع ما يحدثه الله عز وجل في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال الله تعالى { **صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** } النمل 88 وقال { **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** } السجدة 7 والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقاً وإن كان شراً بالنسبة إلى من تضرر به ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم إضافة الشر وحده إلى الله بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة إما أن يدخل في عموم المخلوقات فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشئنة والخلق وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل وإما أن يحذف فاعله فالأول كقوله تعالى { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** } الزمر 62 ونحو ذلك ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع والضرار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن قرينه لأن إقترانهما يدل على العموم وكل مافي الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى وما في الوجود من غير ذلك فهو من عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع فأخبر أن يده اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق ويده الأخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع فحفضه ورفع من عدله وإحسانه إلى خلقه من فضله وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن { **وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** } الجن 10 وقوله تعالى في أم القرآن { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** } 6 { **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** } 7 { **الْفَاتِحَةَ** } 6-7 فذكر أنه فاعل النعمة وحذف فاعل الغضب وأضاف الضلال إليهم وقال الخليل عليه السلام { **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ**

<sup>1</sup>الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 49

<sup>2</sup>العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 10

يَشْفِينِ { الشعراء 80 و نحو ذلك و إضافته إلى السبب كقوله { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ { الفلق 2 و قوله { فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيْبَهَا { الكهف 79 مع قوله { فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا { الكهف 82 و قوله تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ { النساء 79 و قوله { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا { الأعراف 23 و قوله تعالى { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا فَلَنْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ { آل عمران 165 و أمثال ذلك و لهذا كان لله الأسماء الحسنی فسمى نفسه بالأسماء الحسنی المقنضية للخير و ليس من أسماء الله الحسنی أسم يتضمن الشر و إنما يذكر الشر في مفعولاته كقوله { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ { المائدة 98 و قوله في آخر سورة الأنعام { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ { الأعراف 167 و قوله { نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ { 49 } وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ { 50 } الحجر 49- 50 و قوله { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ { 12 } إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ { 13 } وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ { 14 } البروج 12-14 فبين سبحانه أن بطشه شديد وأنه هو الغفور الودود { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ { الرعد 6 و قوله { حم { 1 } تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ { 2 } غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ { 3 } غافر 1-3 و هذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر بالنسبة إلى بعض الناس فله فيها حكمة هو بخلقه لها حميد مجيد له الملك وله الحمد فليست بالإضافة إليه شرا ولا مذمومة فلا يضاف إليه ما يشعر بنقيض ذلك كما أنه سبحانه خالق الأمراض والأوجاع والروائح الكريهة والصور المستقبحة والأجسام الخبيثة كالحيات والعذرات لما له في ذلك من الحكمة البالغة <sup>1</sup>

و قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في دعاء الإستفتاح و الخير بيدك و الشر ليس إليك و سواء أريد به أنه لا يضاف إليك و لا يتقرب به إليك أو قيل إن الشر إما عدم و إما من لوازم العدم و كلاهما ليس إلى الله فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير و أسماؤه تدل على صفاته و ذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر و إنما وقع الشر في المخلوقات قال تعالى { نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ { 49 } وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ { 50 } الحجر 49- 50 و قال تعالى { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ { المائدة 98 و قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ { الأنعام 165 فجعل المغفرة و الرحمة من معاني أسمائه الحسنی التي يسمى بها نفسه فتكون المغفرة و الرحمة من صفاته و أما العقاب الذي يتصل بالعباد فهو مخلوق له و ذلك هو الأليم فلم يقل و إني أنا المعذب <sup>2</sup>

فالمقتضى والمحبة هو الأصل والعمدة في الحق الموجود والحق المقصود واما المانع والبغضة فهو الفرع والتابع ولهذا كتب الله في الكتاب الموضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي ولهذا كان الخير في أسماء الله وصفاته وأما الشر ففي الأفعال كقوله { نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ { 49 } وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ { 50 } الحجر 49- 50 فجعل الرحمة صفة له مذكورة في أسمائه الحسنی و أما العذاب والعقاب فجعلهما من مفعولاته غير مذكورين في أسمائه <sup>3</sup>

## لطائف لغوية

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 95-96 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 143-144

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 94-95

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 437 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 313



1-قال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الحجر 25 حكيم منزه عن السفه عليم منزه عن الجهل<sup>1</sup>

2-قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} الحجر 26 الحمأ المسنون فإنه من سن يقال سنتت الحجر على الحجر إذا حككته والذي يسيل بينهما سنن ولا يكون إلا منتنا وهذا أصح من قول من يقول المسنون المصبوب على سنة الوجه أو المصبوب المفرغ أي أبداع صورة الإنسان فإن هذا أنما كان بعد أن خلق من الحمأ المسنون ونفس الحمأ لم يكن على صورة الإنسان ولا صورة وجهه ولكن المراد المنتن<sup>2</sup>

3-قال تعالى {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 وقال تعالى {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 أي القصد وهو السبيل العدل أي إليه تنتهي السبيل العادلة كما قال تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} الليل 12 أي الهدى إلبنا هذا أصح الأقوال فى الآيتين و كذلك قوله تعالى {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41<sup>3</sup>

4-قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} 39 {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 40 { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} 41 {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ} 42-28 الحجر و الغى فى الاصل مصدر غوى يغوى غيا كما يقال لوى يلوى ليا وهو ضد الرشد كما قال تعالى { وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 و الرشد العمل الذى ينفع صاحبه والغى العمل الذى يضر صاحبه فعلم الخير رشد وعمل الشر غى ولهذا قالت الجن { وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 فقابلوا بين الشر وبين الرشد وقال فى آخر السورة { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } الجن 21 ومنه الرشيد الذى يسلم إليه ماله وهو الذى يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر وقال الشيطان { لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 82 {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 83 ص 82-83 وهو أن يأمرهم بالشر الذى يضرهم فيطيعونه كما قال تعالى { وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } إبراهيم 22 وقال { وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ } الشعراء 91 إلى أن قال { فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } 94 { وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } 95 {الشعراء 94-95 وقال { قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا } القصص 63 وقال { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 ثم إن الغى إذا كان إسما لعمل الشر الذى يضر صاحبه فإن عاقبة العمل أيضا تسمى غيا كما أن عاقبة الخير تسمى رشدا كما يسمى عاقبة الشر شرا وعاقبة الخير خيرا وعاقبة الحسنات حسنات وعاقبة السيئات سيئات<sup>4</sup>

مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 30

5- قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} 39 {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 40 { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} 41 {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ} 42-28 الحجر و اسم العبد يتناول معنيين أحدهما بمعنى العابد كرها كما قال {إِنْ كُلُّ مَنْ

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

<sup>2</sup>منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 200

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 231

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 570

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا {مریم 93} وَقَالَ {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} آل عمران 83 وَقَالَ {يَدْبِعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} البقرة 117 {كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ} البقرة 116 وَقَالَ {وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} الرعد 15 وَالثاني بمعنى العابد طوعاً هو الذي يعبده ويستعينه وهذا هو المذكور في قوله {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْتَشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} الفرقان 63 وقوله {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} الإنسان 6

6- قال تعالى {قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} {35} الحجر 34-35 يوم الدين يوم يدين العباد بأعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر<sup>1</sup>

7- عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الغي اذا أطلق تناول كل معصية لله كما في قوله عن الشيطان {وَلَا غُورِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ} {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ} {40} الحجر 39-40 وقد يقرب بالضلال كما في قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2<sup>2</sup>

8- قال تعالى {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ} {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} {42} الحجر 28-42 ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبده فلا يطلق عليه لفظ عبده كما قال {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} الحجر 42 وأما قوله {إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 فالاستثناء فيه منقطع كما قاله أكثر المفسرين والعلماء {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} الكهف 102 قد يقال في هذا أن المراد به الملائكة والأنبياء إذا كان قد نهى عن اتخاذهم أولياء فغيرهم بطريق الأولى<sup>3</sup>

9- قال تعالى {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} الحجر 44 القسمة قسمتان قسمة الكلي إلى أنواعه وقسمة الكل إلى أجزائه والمراد بلفظ القسمة عند الجمهور هو الثاني وبذلك جاء القرآن في مثل قوله {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} الحجر 44 ومنه باب القسمة التي يذكرها الفقهاء كقسمة الموارث والغنائم والفيء من عقار ومنقول بين المشتركين فيه فيحصل لكل واحد جزء من المقسوم موجود في الخارج غير الجزء الحاصل للشريك الآخر وقد قال جابر قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة<sup>4</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 262

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43-44

<sup>4</sup>الصفدية ج: 2 ص: 275

10- قال سبحانه { نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } {49} وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } {50} الحجر 49-50  
ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبد فلا يطلق عليه لفظ عبده ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ  
العبد على المخلوقات كلها<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43

## الحجر 51-84

{51} وَنَبَّئَهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ {52} قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {53} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ نُبَشِّرُونَ {54} قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ {55} قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ {56} قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {57} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ {58} إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59} إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ {60} فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ {61} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّنْكَرُونَ {62} قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ {63} وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {64} فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ {65} وَقَصِينَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ {66} وَجَاء أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ {67} قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ {68} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ {69} قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ {70} قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ {71} لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ {72} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ {73} فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ {74} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ {75} وَإِنهَا لَبَسِبِيلٍ مُّقِيمٍ {76} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {77} وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ {78} فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ {79} وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ {80} وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ {81} وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ {82} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ {83} فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {84}

## إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون

من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن وأنها أحياء ناطقة قائمة بأنفسها ليست إعراضاً قائمة بغيرها وأخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة وأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر كما أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم الخليل عليه السلام ثم ذهبوا منه إلى لوط وهذه القصة مذكورة في التوراة وغيرها من كتب أهل الكتاب كما هي مذكورة في القرآن مع العلم بأن كلا من النبيين موسى ومحمد لم يأخذها عن الآخر وهذا مما يوجب العلم بصحتها قبل ثبوت نبوتها فإن الاتفاق على مثل هذه الحكاية من غير تواطؤ يمتنع في العادة فإذا اتفق إخبار المخبرين بمثل هذه القصة الطويلة التي يمتنع في العادة اتفاق الإثنين فيها على الكذب من غير تواطؤ علم أنها حق فكان إخبار كل منهما بها دليلاً على نبوته وقال { وَنَبَّئَهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ } {51} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ {52} قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {53} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى

أَنْ مَسَّنِي الْكَبِيرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ {54} قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ {55} قَالَ وَمَنْ يَفْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ {56} قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {57} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ {58} إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59} إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ {60} فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ {61} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ {62} قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ {63} وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {64} فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ {65} الحجر 51 65 فهذه القصة فيها إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن آدميين يخاطبونهم ويرونهم في صور الأدميين الأنبياء وغير الأنبياء كما رأتهم سارة امرأة الخليل عليه السلام وكما كان الصحابة يرون جبريل إذا جاء لما جاء في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي<sup>1</sup>

فقد تواتر في الكتب الالهية والاحاديث النبوية ان الملائكة تتصور بصورة البشر وكذلك الجن ويرون في تلك الصورة كما أخبر الله عن ضيف إبراهيم في غير موضع من كتابه وكما أخبر عن مريم انه ارسل اليها الروح وهو جبريل {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} مريم 17-19<sup>2</sup>

## أسماء الله وصفاته مختصة به لا يشركه فيها غيره

قال تعالى {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} الحجر 53 سمي الله نفسه باسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الاسماء مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتمائل مساهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص فضلا عن ان يتحد مساهما عند الاضافة والتخصيص فقد سمي الله نفسه حيا فقال {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} الروم 19 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي اسم الله مختص به وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} الروم 19 اسم للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك سمي الله نفسه عليما حليفا {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الأنعام 83 وسمى بعض عباده عليما كقوله {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} الحجر 53 يعني اسحق وليس العليم كالعليم كقوله<sup>3</sup>

## البشارة باسحق كانت معجزة

<sup>1</sup>الصفدية ج: 1 ص: 196

<sup>2</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 470

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 11 و الجواب الصحيح ج: 4 ص: 422

قال تعالى {وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} {51} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ {52} قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {53} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبْرُ فِيمَ نُبَشِّرُونَ {54} قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاقِطِينَ {55} قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ {56} الحجر 51-56 ذكر البشارة بغلام عليم ان البشارة باسحق كانت معجزة لان العجوز عقيم ولهذا قال الخليل عليه السلام {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبْرُ فِيمَ نُبَشِّرُونَ} {الحجر 54} وقالت امرأته { أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا } {هود 72} وقد سبق ان البشارة باسحق في حال الكبر وكانت البشارة مشتركة بين ابراهيم وامرأته<sup>1</sup>

## قول القلب وعمله هو الأصل

قال تعالى {وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} {51} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ {52} قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {53} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبْرُ فِيمَ نُبَشِّرُونَ {54} قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاقِطِينَ {55} قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ {56} الحجر 51-56 ان المحبة التامة لله ورسوله تستلزم وجود محبوباته ولهذا جاء في الحديث الذي في الترمذي من احب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان فإنه إذا كان حبه لله وبغضه لله وهما عمل قلبه وعطاؤه لله ومنعه لله وهما عمل بدنه دل على كمال محبته لله و دل ذلك على كمال الإيمان وذلك ان كمال الإيمان أن يكون الدين كله لله وذلك عبادة الله وحده لا شريك له والعبادة تتضمن كمال الحب وكمال الذل والحب مبدأ جميع الحركات الإرادية ولا بد لكل حي من حب وبغض فإذا كانت محبته لمن يحبه الله وبغضه لمن يبغضه الله دل ذلك على صحة الإيمان في قلبه لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف بما يعارضه من شهوات النفس واهوائها الذي يظهر في بذل المال الذي هو مادة النفس فإذا كان حبه لله وعطاؤه لله ومنعه لله دل على كمال الإيمان باطنا وظاهرا واصل الشرك في المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إنما هو إتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} البقرة 165 ومن كان حبه لله وبغضه لله لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يعطى إلا الله ولا يمنع إلا الله فهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخارى في صحيحه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما إفترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألتنى لأعطينه ولئن إستعاذنى لأعيزنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته ويعيذه مما إستعاذ منه وقد ذم فى كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 وذم من إتخذ الهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط وقد مدح تعالى وذم فى كتابه فى غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسخط والفرح والغم ونحو ذلك من أفعال القلوب كقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} البقرة 165 وقال { وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } {الحجر 56} ومثل هذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله واتفاق المؤمنين يحمد ويذم على ما شاء الله من مساعي القلوب وأعمالها بل قول القلب وعمله هو الأصل مثل تصديقه وتكذيبه وحبه وبغضه من ذلك ما يحصل به مدح وذم وثواب وعقاب بدون فعل الجوارح الظاهرة ومنه ما لا يقترن به ذلك الامع الفعل بالجوارح الظاهرة اذا كانت مقدورة وأما ما ترك فيه فعل الجوارح الظاهرة للعجز عنه فهذا حكم صاحبه حكم الفاعل<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 333-334

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 754-755 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 184

## آل الشخص هم من يؤوله ويؤول إليه ويرجع إليه

أن لفظ آل فلان في الكتاب والسنة يدخل فيها ذلك الشخص مثل قوله في الملائكة الذين ضافوا إبراهيم { **قَالُوا** **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ {58} إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59}** الحجر 58-59 } وامرأة الرجل من آله بدليل قوله { **إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59}** } **إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ {60}** الحجر 58-60 } ثم قال { **فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ {الحجر 61}** قال **يعنى لوطا { إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ { الحجر 62}** وكذلك قوله { **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ { القمر 34}** ومعلوم أن لوطا داخل في آل لوط في هذه المواضع ثم قال بعد ذلك { **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ {41} كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ {42}** القمر 41 - 42 } وكما في قوله { **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ { آل عمران 33}** } وقوله { **أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ { غافر 46}** وقوله { **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ { الصافات 130}** ومنه قول النبي قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وكذلك قوله كما باركت على آل إبراهيم فأبراهيم داخل في ذلك وكذلك قوله للحسن أن الصدقة لا تحل لآل محمد وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان القوم إذا أتوا رسول الله بصدقة يصلون عليهم فاتا أبي بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأبو أوفى هو صاحب الصدقة<sup>1</sup>

وكذلك لفظ أهل البيت كقوله تعالى { **رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ { هود 73}** فإن إبراهيم داخل فيهم وكذلك قوله من سره ان يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل الله صل على محمد النبي الحديث وسبب ذلك أن لفظ الأهل أصله أول تحركت الواو وافتتح ما قبلها فقلبت ألفا فليل آل ومثله باب وناب وفي الأفعال قال وعاد ونحو ذلك ومن قال أصله أهل فقلبت الهاء ألفا فقد غلط فإنه قال مالا دليل عليه وإدعى القلب الشاذ بغير حجة مع مخالفته للأصل وأيضا فإن لفظ الأهل يضيفونه إلى الجماد وإلى غير المعظم كما يقولون أهل البيت وأهل المدينة وأهل الفقير وأهل المسكين وإما الأهل فإنما يضاف إلى معظم من شأنه أن يؤول غيره أو يسوسه فيكون مآله إليه ومنه الإيالة وهي السياسة فال شخص هم من يؤوله ويؤول إليه ويرجع إليه ونفسه هي أول وأولى من يسوسه ويؤول إليه فلهذا كان لفظ آل فلان متناولا له ولا يقال هو مختص به بل يتناول ويتناول من يؤوله<sup>2</sup>

## توعد الله بالعذاب الأليم على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة

قال الله تعالى { **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {57} قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ {58} إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59}** } **إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ {60}** الحجر 57-60 } عجزوا السوء امرأة لوط كانت تدل الفجار على ضيفه التي قال الله تعالى فيها { **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ { الأعراف 83}** وقال تعالى

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 281 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 463 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 205

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 463

{ فَأَسْرِبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ مِنْهُ مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ } هود 81 فعذب الله عجز  
السوء القوادة بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث<sup>1</sup>

فإن الله قد توعد بالعذاب على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة وهذه المحبة قد لا  
يقترن بها قول ولا فعل فكيف إذا إقترن بها قول أو فعل بل على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله من فعل الفاحشة  
والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا ومن رضى عمل قوم حشر معهم كما حشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل  
فاحشة اللواط فإن ذلك لا يقع من المرأة لكنها لما رضيت فعلهم عمها العذاب معهم فمن هذا الباب قيل من أعان  
على الفاحشة وإشاعتها مثل القواد الذى يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة لأجل ما يحصل له من رياسة أو سحت  
يأكله وكذلك أهل الصناعات التى تنفق بذلك مثل المغنين وشربة الخمر وضمان الجهات السلطانية وغيرها فإنهم  
يحبون أن تشيع الفاحشة ليتمكنوا من دفع من ينكرها من المؤمنين ما إذا كانت قليلة خفيفة خفية ولا خلاف بين  
المسلمين أن ما يدعو إلى معصية الله وينهى عن طاعته منهى عنه محرم بخلاف عكسه فإنه واجب كما قال تعالى  
{ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } العنكبوت 45 أى إن ما فيها من طاعة الله وذكره وإمتثال  
أمره أكبر من ذلك<sup>2</sup>

## التقوى ان تعمل بطاعة الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله تخاف عذاب

### الله

قال تعالى { وَجَاء أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ } {67} قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضِئْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ {68} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا  
تُخْزُونِ {69} قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ {70} قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ {71} لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ  
يَعْمَهُونَ {72} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ {73} فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ {74} إِنْ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ {75} وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ {76} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {77} الحجر 67-77 أن اسم تقوى  
الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريما وتنزيها وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد<sup>3</sup>  
عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل فى طاعته كل ما  
أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة فى طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل  
محظور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على  
نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما فى قوله { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ  
مُّقْتَدِرٍ {55} القمر 54- 55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ  
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } {3} الطلاق 2- 3 وقوله { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } يوسف 90  
وقوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } النساء 1<sup>4</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 306 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 63

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 344

<sup>3</sup>الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 90

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164



## العبادة والتقوى لله

قال تعالى {وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ} {67} قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ {68} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ {69} الحجر 67-69 وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته في القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهى أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وقال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} الزخرف 63 فجعل العبادة والتقوى لله وجعل له أن يطاع وكذلك فى مواضع كثيرة جدا من القرآن اتقوا الله اتقوا الله {وَاتَّقُوا اللَّهَ} الحجر 69<sup>1</sup>

## محبة الفواحش مرض فى القلب

ولا ريب أن محبة الفواحش مرض فى القلب فإن الشهوة توجب السكر كما قال تعالى عن قوم لوط {إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} الحجر 72<sup>2</sup>

وإذا كان النبي قال شارب الخمر كعابد وثن ومر علي رضي الله عنه بقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وأظنه قلب الرقعة وذلك أن الله جمع بين الخمر والميسر وبين الأنصاب والأزلام فى قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {90} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} {91} المائدة 90-91 مع أن الخمر إذا سكر بها الشارب كان سكره يوما أو قريبا من يوم أو بعض يوم وأما سكر الشهوة والمحبة الفاسدة من العشق ونحوه فسكره قوي دائم قال تعالى فى قوم لوط {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} الحجر 72<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 72

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 313

<sup>3</sup>قاعدة فى المحبة ج: 1 ص: 87

وكثيرا ما يعتري أهل المحبة من السكر والفناء أعظم ما يصيب السكران بالخمير والسكران بالصور كما قال تعالى في قوم لوط **{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}** الحجر 72 فالحب له سكر أعظم من سكر الشراب كما قيل سكران سكر هوى وسكر مدامة<sup>1</sup>

## عقوبة أهل الفواحش الذين لا يعضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم

قال تعالى **{وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ}** {67} **{قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون}** {68} **{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُون}** {69} **{قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ}** {70} **{قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}** {71} **{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}** {72} **{فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ}** {73} **{فَجَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّنْ سَجِيلٍ}** {74} **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ}** {75} **{وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مَّقِيمٌ}** {76} **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ}** {77} الحجر 67-77 وقوله سبحانه **{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}** طه 131 يتناول النظر إلى الأموال واللباس والصور وغير ذلك من متاع الدنيا أما اللباس والصور فهما اللذان لا ينظر الله إليهما كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي قال إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وقد قال تعالى **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاً وَرِئياً}** مريم 74 وذلك أن الله يمتع الصور كما يمتع بالأموال وكلاهما من زهرة الحياة الدنيا وكلاهما يفتن أهله واصحابه وربما أفضى به إلى الهلاك دنيا وأخرى والهلكى رجلان فمستطيع وعاجز فالعاجز مفتون بالنظر ومد العين إليه والمستطيع مفتون فيما اوتى منه غارق قد أحاط به مالا يستطيع إنفاذ نفسه منه وهذا المنظور قد يعجب المؤمن وإن كان المنظور منافقا أو فاسقا كما يعجبه المسموع منهم قال تعالى **{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}** المنافقون 4 فهذا تحذير من الله تعالى من النظر إليهم وإستماع قولهم فلا ينظر إليهم ولا يسمع قولهم فإن الله سبحانه قد أخبر أن رؤياهم تعجب الناظرين إليهم وأن قولهم يعجب السامعين ثم أخبر عن فساد قلوبهم وأعمالهم بقوله **{كَأَنَّهِمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ}** المنافقون 4 فهذا مثل قلوبهم وأعمالهم وقال تعالى **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** البقرة 204 الآية وقد قال تعالى في قصة قوم لوط **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ}** الحجر 75 والتوسم من السمة وهي العلامة فأخبر سبحانه أنه جعل عقوبات المعتدين آيات للمتوسمين وفي الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **{إِتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ}** الحجر 75 فدل ذلك على أن من إعتبر بما عاقب الله به غيره من أهل الفواحش كان من المتوسمين}** وأخبر تعالى عن اللوطية أنه طمس أبصارهم فكانت عقوبة أهل الفواحش طمس الأبصار كما قد عرف ذلك فيهم وشوهد منهم وكان ثواب المعتبرين بهم التاركين لأفعالهم إعطاء الأنوار وهذا مناسب لذكر آية النور عقيب غض الأبصار وأما القدرة والقوة التي يعطيها الله لمن اتقاه وخالف هواه فذلك حاصل معروف كما جاء **{إِنَّ الَّذِي يَتْرِكُ هَوَاهُ يَفْرُقُ الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ}** وفي الصحيح أن النبي قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وفي رواية أنه مر بقوم يخذفون حجرا فقال ليس الشدة فى هذا وإنما الشدة فى أن يمتلىء أحدكم غيظا ثم يكظمه الله أو كما قال وهذا ذكره فى الغضب لأنه معتاد لبنى آدم كثيرا ويظهر للناس وسلطان الشهوة يكون فى الغالب مستورا عن أعين الناس وشيطانها خاف ويمكن فى كثير من الأوقات الإعتياض بالحلال عن الحرام وإلا فالشهوة إذا إشتغلت وإستولت قد تكون أقوى من الغضب وقد قال تعالى **{وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفاً}** النساء 28 أى ضعيفا عن النساء لا يصبر عنهن وفى قوله **{رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِآ طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** البقرة 286 ذكروا منه العشق والعشق يفضى بأهله إلى الأمراض والإهلاك وإن كان الغضب قد يبلغ ذلك أيضا وقد دل القرآن على أن القوة والعزة لأهل الطاعة التائبين إلى الله فى مواضع كثيرة كقوله فى سورة هود **{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ}**

<sup>1</sup>قاعدة فى المحبة ج: 1 ص: 59

{هود 52 وقوله {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} {المنافقون 8} {وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {آل عمران 139} وإذا كان الذي قد يهجر السيئات يغض بصره ويحفظ فرجه وغير ذلك مما نهى الله عنه يجعل الله له من النور والعلم والقوة والعزة ومحبة الله ورسوله فما ظنك بالذي لم يحلم حول السيئات ولم يعرها طرفه قط ولم تحدثه نفسه بها بل هو يجاهد في سبيل الله أهلها ليلتركوا السيئات فهل هذا وذاك سواء بل هذا له النور والايمن والعزة والقوة والمحبة والسلطان والنجاة في الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ذلك وحاله أعظم وأعلى ونوره اتم واغوى فان السيئات تهواها النفوس ويزنها الشيطان فتجتمع فيها الشبهات والشهوات فإذا كان المؤمن قد حبيب الله اليه الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان حتى يعوض عن شهوات الغي بحب الله ورسوله وما يتبع ذلك وعن الشهوات والشبهات بالنور والهدى وأعطاه الله من القوة والقدرة ما أيده به حيث دفع بالعلم الجهل وبارادة الحسنات ارادة السيئات وبالقوة على الخير القوة على الشر في نفسه فقط والمجاهد في سبيل الله يطلب فعل ذلك في نفسه وغيره أيضا حتى يدفع جهله بالظلم واراوته السيئات بارادة الحسنات ونحو ذلك والجهاد تمام الايمان وسنام العمل كما قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} {الحجرات 15} وقال {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} {آل عمران 110} الآية وقال {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} {التوبة 19} الآية فكذلك يكون هذا الجزاء في حق المجاهدين كما قال تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} {العنكبوت 69} فهذا في العلم والنور وقال {وَلَوْ أَنَا كُنْتُنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اِقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} {النساء 66} الى قوله {وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} {النساء 68} فقتل النفوس هو قتل بعضهم بعضا وهو من الجهاد والخروج من ديارهم هو الهجرة ثم اخبر أنهم اذا فعلوا ما يوعظون به من الهجرة والجهاد كان خيرا لهم واشد تثبيتا ففي الآية أربعة أمور الخير المطلق والتثبيت المتضمن للقوة والمكنة والاجر العظيم وهداية الصراط المستقيم وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} {محمد 7} وقال {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} {الحج 40} الى قوله {وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} {الحج 41} وقال {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَئِيمٍ} {المائدة 54} وأما أهل الفواحش الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله بضد ذلك من السكرة والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم الرشد واليغض وطمس الأبصار هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد والإجرام فقال عن قوم لوط {أَبَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} {النمل 55} فوصفهم بالجهل وقال {لَعَمْرِكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} {الحجر 72} وقال {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} {هود 78} وقال {فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} {القمر 37} وقال {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} {الأعراف 81} وقال {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} {الأعراف 84} وقال {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْقِينِ} {الأنبياء 74} وقال {أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} {العنكبوت 29} الى قوله {قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} {العنكبوت 30} الى قوله {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} {العنكبوت 34} وقوله {مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} {الذاريات 34} <sup>1</sup>

## الفائدة من غض البصر فهو نور القلب والفراسة

قال تعالى {وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ} {67} {قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ} {68} {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ} {69} {قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ} {70} {قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} {71} {لَعَمْرِكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} {72} {فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ} {73} {فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ} {74} {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {75} {وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُّقِيمٍ} {76} {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} {77} {الحجر 67-77} وأما الفائدة من غض البصر فهو نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط {لَعَمْرِكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} {الحجر 72} فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه كما قيل سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق من به سكران وقيل أيضا قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين وذكر الله سبحانه آية

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 397-402

النور عقيب آيات غض البصر فقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} النور 35 وكان شجاع بن شاه الكرمانى لا تخطى له فراسة وكان يقول من عمر ظاهره بإتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وذكر خصلة سادسة أظنه هو اكل الحلال لم تخطى له فراسة والله تعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله فيطلق نور بصيرته ويفتح باب العلم والمعرفة والكشف ونحو ذلك مما ينال لبصيرة القلب<sup>1</sup>

## {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ}

وقوله تعالى لما ذكر قصة قوم لوط {فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} {74} إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {75} وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُّقِيمٌ} {76} الحجر 74-76 و المتوسم المستدل بالسمة و السیما و هي العلامة قال تعالى {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} محمد 30 فمعرفة المنافقين في لحن القول ثابتة مقسم عليها لكن هذا يكون إذا تكلموا و أما معرفتهم بالسیما فموقوف على مشیئة الله فغن ذلك أخفى و في الحديث الذي رواه الترمذي و حسنه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {75} الحجر 75 قال مجاهد و ابن قتيبة للمتفرسين قال ابن قتيبة يقال توسمت في فلان الخير أي تبينته و قال الزجاج المتوسمون في اللغة النظار المثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت و قوله المثبتون في نظرهم أي في نظر أعينهم حتى يعرفوا السیما بخلاف الذين قيل فيهم {وَكَايِنٌ مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} يوسف 105 و قال الضحاک الناظرون و قال ابن زيد المنتقدون و قال قتادة المعتبرون و كل هذا صحيح فإن المتوسم يجمع هذا كله ثم قال تعالى {وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُّقِيمٌ} الحجر 76 ثم ذكر قصة أصحاب الأيكة ثم قال {وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ} الحجر 79 اي بطريق متبين للناس واضح وكذلك في موضع آخر لما قال {فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} {35} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ} {36} وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} {37} الذاريات 35-37 و قال في سفينة نوح {وَلَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً فَهَلْ مِّن مُّدَكِّرٍ} القمر 15 فأخبر أنه أبقى آيات و هي العلامات و الدلالات فدل ذلك على أن ما يخصه من أخبار المؤمنين و حسن عاقبتهم في الدنيا و أخبار الكفار و سوء عاقبتهم في الدنيا هو من باب الآيات و الدلالات التي يستدل بها و يعتبر بها علما و و عطا فيفيد معرفة صحة ما أخبرت به الرسل و يفيد الترغيب و التهيب و يدل ذلك على أن الله يرضي عن أهل طاعته و يكرمهم و يغضب على أهل معصيته و يعاقبهم كما يستدل بمخلوقاته العامة على قدرته فإن الفعل يستلزم قدرة الفاعل و يستدل بأحكام الأفعال على علمه لأن الفعل المحكم يستلزم علم الفاعل و بالتخصيص على مشيئته لأن التخصيص مستلزم لإرادته فكذلك يستدل بالتخصيص بما هو أحمد عاقبة على حكمته لأن تخصيص الفعل بما هو محمود في العاقبة مستلزم للحكمة و يستدل بتخصيص الأنبياء و إتباعهم بالنصر و حسن العاقبة و تخصيص مكذبيهم بالخزي و سوء العاقبة على أنه يأمر و يحب و يرضي ما جاءت به الأنبياء و يكره و يسخط ما كان عليه مكذبوهم لأن تخصيص أحد النوعين بالإكرام و النجاة و الذكر الحسن و الدعاء و تخصيص الآخر بالعذاب و الهلاك و قبح الذكر و اللعنة يستلزم محبة ما فعله الصنف الأول و بغض ما فعله الصنف الثاني<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 427

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 117-119

ومن الطريق الطرق الواضحة القاطعة المعلومة إلى قيام الساعة بالتواتر من أحوال إتباع الأنبياء وأحوال من كذبهم وكفر بهم حال نوح وقومه وهود وقومه وصالح وقومه وحال إبراهيم وقومه وحال موسى وفرعون وحال محمد وقومه وهذا الطريق قد بينها الله في غير موضع من كتابه

كقوله {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ} غافر5 إلى قوله {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} غافر5 وقال {وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ} {42} وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ} {43} وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى {44} الْحَجَّ 42- 44 إلى قوله {44} فَكَايُنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ {45} الْحَجَّ 45 إلى قوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} {46} الْحَجَّ 46 وقوله {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} {137} وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {138} الصافات137- 138 وقال {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {الحجر75} فبين أنه تارك آثار القوم المعذبين للمشاهدة ويستدل بذلك على عقوبة الله لهم وقال تعالى {وَكَمَّ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ} الإسراء17 فذكر طريقتين يعلم بهما ذلك أحدهما ما يعاين ويعقل بالقلوب والثاني ما يسمع فإنه قد تواتر عند كل أحد حال الأنبياء ومصدقهم ومكذبهم وعابنوا من آثارهم ما دل على أنه سبحانه عاقب مكذبكم وانتقم منهم وأنهم كانوا على الحق الذي يحبه ويرضاه وأن من كذبهم كان على الباطل الذي يغضب الله على أهله وإن طاعة الرسل طاعة الله ومعصيتهم معصية الله<sup>1</sup>

## سنة الله سبحانه فيمن خالف رسله واتبع غير سبيلهم

وقال تعالى لما قص قصة قوم لوط {فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ} {73} فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ} {74} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {75} وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ} {76} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} {77} وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لِظَالِمِينَ} {78} فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِأَمَامٍ مُّبِينٍ} {79} وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ} {80} وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} {81} وَكَانُوا يُنَجِّثُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا أَمِينٍ} {82} فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ} {83} فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {84} الْحَجَر 73-84 يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن العاقبة وقصص من كفر بهم وكذبهم وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم وكذب من خالفهم وفجوره ثم إنه سبحانه بين أن ذلك يعلم بالبصر أو السمع أو بهما فانه سبحانه وتعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأتبيائه والمؤمنين من الكرامة وما فعله بمكذبهم من العقوبة<sup>2</sup>

قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسول وما صارت إليه عاقبتهم وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن بعدهم وموعظة وكذلك مسخ من مسخ قرده وخنازير لمخالفتهم لأنبيائهم وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحجارة من السماء وأغرقه في اليم وأرسل عليه الصيحة وأخذه بأنواع العقوبات وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسول واعراضهم عما جاءوا به واتخاذهم أولياء من دونه وهذه سنته سبحانه فيمن خالف رسله وأعرض عما جاؤوا به واتبع غير سبيلهم ولهذا أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتر بها ونعظ لنا نفعلا كما فعلوا فيصيبنا ما أصابهم كما قال تعالى {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} {34} وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} {35} العنكبوت34- 35 وقال تعالى {ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ} {136} وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} {137} وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {138} الصافات136-138 أي تمررون عليهم نهارا بالصباح وبالليل ثم قال {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الصافات138 وقال تعالى في مدائن قوم لوط {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ} {74} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {75} وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ} {76} الْحَجَر 74-76 يعني مدائنهم بطريق مقيم يراها المار بها وقال تعالى {

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 214

<sup>2</sup>العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 135

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ {يوسف 109} وهذا كثير في الكتاب العزيز يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسول ونجاة اتباع المرسلين ولهذا يذكر سبحانه في سورة الشعراء قصة موسى وإبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولأتباعهم ثم يختم القصة بقوله { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {190} } وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {191} الشعراء 190-191 فختم القصة باسمين من اسمائه تقتضيهما تلك الصفة وهو العزيز الرحيم فانتمم من أعدائه بعزته وانجى رسله واتباعهم برحمته<sup>1</sup>

## من آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم

قال تعالى { فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ {73} فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ {74} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ {75} وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ {76} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ {77} } وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِمِينَ {78} فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ {79} } وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ {80} } وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ {81} } وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ {82} } فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصِيبِينَ {83} } فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {84} } الحجر 73-84 ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم ونصره للمؤمنين بهم فهذا من أعلام نبوتهم ودلائل صدقهم كإغراق الله قوم نوح لما كذبوه وكإهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر وإهلاك قوم صالح بالصيحة وإهلاك قوم شعيب بالظلة وإهلاك قوم لوط بإقلاب مداينهم ورجمهم بالحجارة وإهلاك قوم فرعون بالغرق وقد ذكر الله القصص في القرآن في غير موضع وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم كما يذكره في سورة الشعراء لما ذكر قصة موسى قال { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } الشعراء 67 ثم ذكر قصة إبراهيم وقال في آخرها { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } الشعراء 103 وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ومن لسان الصدق والثناء والدعاء لهم ولمن آمن بهم كما قال تعالى لما ذكر قصة نوح عليه السلام { وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {78} } سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {79} } الصافات 78-79 ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم { فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } هود 49 فأخبر أن العاقبة للمتقين ثم إنه ما وقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل تارة ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة كما قال عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك 10 كما ذكر الله الطريقين في قوله وفي سورة الحجر ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ {75} } وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ {76} } إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ {77} } وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِمِينَ {78} } فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ {79} } الحجر 75-79 والإمام المبين هو الطريق المستبين الواضح بين سبحانه أن هذه وهذه كلاهما بسبيل للناس يرونها بأبصارهم فيعلمون بذلك ما فعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ودلالة نصر الله المؤمنين وانتقامه من الكافرين على صدق الأنبياء من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم فكون هذا فعل لأجل هذا وكون ذلك سبب هذا هو مما يعلم بالإضرار عند تصور الأمر على ما هو عليه كانقلاب العصا حية عقب سؤال فرعون الآية وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية وأمثال ذلك والسؤال المشهور الذي يورد في هذا الموضوع على قول من ينفي التعليل في أفعال الله ويجوز على الله كل فعل حيث قيل لهم على أصلكم لا يفعل الله شيئا لأجل شيء وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة لأجل تصديق الرسول ولا عاقب هؤلاء لتكذيبهم له ولا أنجى هؤلاء ونصرهم لإيمانهم به إذا كان لا يفعل شيئا لشيء عندكم وقالوا لهم أيضا إذا جوزتم على الرب كل فعل جاز أن يظهر الخوارق على يد الكاذب ويقال لهم أيضا أنتم لا تعلمون ما يفعل الرب إلا بعادة أو خبر الأنبياء فقبل العلم بصدق النبي لا يعلم شيء بخبره والعادة إنما تكون فيما تكرر كطلوع الشمس ونزول المطر ونحو ذلك والإتيان بالخارق للتصديق ليس معتادا فيقال هذا السؤال إن كان متوجها فإنما يقدح في قول هؤلاء الذين يقولون لا يفعل شيئا لأجل شيء ويجوزون عليه فعل كل شيء ممكن لا ينزهونه عن فعل شيء الأفعال وليس عندهم قبيحا وظلما إلا ما كان ممتنعا مثل جعل الشيء موجودا معدوما وجعل الجسم في مكانين ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة في إبطال مذهبهم وقالوا قولهم يقدح في العلوم

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 98

الضرورية ويسد باب العلم بصدق الرسل قالوا إذا جوزتم أن يفعل كل شيء فجوزوا أن يكون الجبال انقلبت يا قوتا والبخار لبنا ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة بطلانه وجوزا أن يخلق المعجزات على يدي الكذابين وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلاء ولا بيان فسد قولهم ولكن المقصود أن هذا السؤال إن كان متوجها فإنما يقدر في قوله هؤلاء لا يقدر فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء وأن الله سبحانه وتعالى نجى موسى ونصره لصدقه ونبوته وإيمانه وأهلك فرعون لتكذيبه وكذلك نصر محمداً ومن اتبعه على من كذبه من قومه ونصر نوحاً على من كفر به ونصر المسيح على من كذبه ونصر سائر الرسل وأتباعهم المؤمنين كما قال تعالى {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} غافر 51 الأسباب مع نفي التعليل أيضاً يقولون نحن نعلم أنه يخلق هذا عند هذا لا به فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب عندهم لكن يبقى عليهم أن هذا لا يعلم إلا بالعادة ولا عادة فلا جرم رجعوا إلى فطرته من أن هذا أمر معلوم بالاضطرار وإن كان مناقضاً لأصلهم الفاسد وضربوا لذلك مثلاً بالملك الذي أظهر ما يناقض عادته لتصديق رسوله لكن يقال لهم الملك يفعل فعلاً لمقصود فأمكن أن يقال أنه قام ليصدق رسوله وأنتم عندكم أن الله لا يفعل شيئاً لشيء فلم يبق المثل مطابقاً ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع تارة يقولون المعجزات دليلاً على الصدق لئلا يفرضي إلى تعجيز الرب فإنه لا دليل على الصدق إلا خلق العجز فلو لم يكن دليلاً لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق وهذه طريقة الأشعري في أكثر كتبه وأحد قوليه وسلكتها القاضي أبو بكر وأبو إسحاق<sup>1</sup>

## اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله

قال تعالى { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** } 75 { **وَأَنهَا لَيْسَبِيلٌ مُّقِيمٌ** } 76 { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ** } 77 { **وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ** } 78 { **فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ** } 79 { **75-79** ان للدين علماً وعملاً إذا صح فلا بد ان يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحب قال الله تعالى { **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً** } 2 { **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** } 3 { **الطلاق** 2-3 } وقال تعالى { **إِنْ تَقُوءُ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً** } الأنفال 29 وقال تعالى { **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئاً** } 66 { **وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِن لَدُنَّا أُجْرًا عَظِيماً** } 67 { **وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً** } 68 { **النساء** 66-68 } وقال تعالى { **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } 62 { **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** } 63 { **لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** } 64 { **يونس** 62-64 } وقال رسول الله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** } الحجر 75 رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد وقال بعض الصحابة أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم وقال عمر بن الخطاب اقتربوا من أفواه المطيعين وإسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة وفي صحيح البخاري قول الله تعالى فيما روى عنه رسول الله من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدله منه فقد أخبر أنه يسمع بالحق ويبصر به فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه وفيه ان محبوبه به يعلم سمعاً وبصراً وبه يعمل بطشاً وسعياً وفيه انه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ويصرف عنه ما يستعيبه من المضار و أيضاً فإله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية وهو حب المعروف وبغض المنكر فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفضورة على الحق فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان منورة بنور القرآن وخفى عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين كان هذا من أقوى الإمارات عند مثله وذلك أن الله علم القرآن والإيمان قال الله تعالى { **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ**

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 389-393

رَسُولاً { الشورى 51 الآية ثم قال { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا { الشورى 52 وقال جندب بن عبدالله وعبدالله بن عمر تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فإزددنا إيماناً وقال من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده وقال تعالى { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ { هود 17 وهو المؤمن على بيعة من ربه ويتبعه شاهد من الله وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بيعة الإيمان وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي أنه قال إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة وفي الترمذي وغيره حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران وفي السورين أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو من فوق الصراط فالصراط المستقيم هو الإسلام والستور حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله فإذا أراد العبد أن يفتح باباً من تلك الأبواب ناداه المنادى أو كما قال يا عبد الله لا تفتحه فإنك أن تفتحه تلجه والداعى على رأس الصراط كتاب الله والداعى فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن فقد بين أن في قلب كل مؤمن واعظ والواعظ الأمر والنهي بترغيب وترهيب فهذا الأمر والنهي الذى يقع فى قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه ولهذا يقوى أحدهما بالآخر كما قال تعالى { نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ { النور 35 قال بعض السلف فى الآية هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر فإذا سمع بالأثر كان نوراً على نور نور الإيمان الذى فى قلبه يطابق نور القرآن كما أن الميزان العقلى يطابق الكتاب المنزل فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقد يؤتى العبد أحدهما ولا يؤتى الآخر كما فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعري عن النبي أنه قال مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا يريح لها ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر والإلهام فى القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والإعتقاد وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب فقد يقع فى قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر واصوب وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر وفى الصحيحين عن النبي أنه قال قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمرى والمحدث الملهم المخاطب وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه وفى مثل هذا قول النبي فى حديث وابصة البر ما اطمانت إليه النفس وسكن إليه القلب والإثم ما حاك فى نفسك وإن أفتاك الناس وأفتوك وهو فى السنن وفى صحيح مسلم عن النواس عن النبي قال البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس وقال ابن مسعود الإثم حزاز القلوب و أيضاً فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن يقينا أو ظنا فالأمور الدينية كذلك بطريق الأولى فإنه إلى كشفها أحوج لكن هذا فى الغالب لا بد أن يكون كشفاً بدليل وقد يكون بدليل يتقدح فى قلب المؤمن ولا يمكنه التعبير عنه وهذا أحد ما فسر به معنى الإستحسان وقد قال من طعن فى ذلك كأبى حامد وأبى محمد ما لا يعبر به عنه فهو هوس وليس كذلك فإنه ليس كل أحد يمكنه إبانة المعانى القائمة بقلبه وكثير من الناس يبينها بيانا ناقصا وكثير من أهل الكشف يلقى فى قلبه أن هذا الطعام حرام أو أن هذا الرجل كافر أو فاسق من غير دليل ظاهر وبالعكس قد يلقى فى قلبه محبة شخص وأنه ولى لله أو أن هذا المال حلال وليس المقصود هنا بيان أن هذا وحده دليل على الأحكام الشرعية لكن أن مثل هذا يكون ترجيحاً لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية الظاهرة فالترجيح بها خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعاً فإن التسوية بينهما باطلة قطعاً كما قلنا أن العمل بالظن الناشئ عن ظاهر أو قياس خير من العمل بنقيضه إذا احتجج إلى العمل بأحدهما والصواب الذى عليه السلف والجمهور أنه لا بد فى كل حادثة من دليل شرعى فلا يجوز تكافؤ الأدلة فى نفس الأمر لكن قد تتكافأ عند الناظر لعدم ظهور الترجيح له وأما من قال أنه ليس فى نفس الأمر حق معين بل كل مجتهد عالم بالحق الباطن فى المسألة وليس لأحدهما على الآخر مزية فى علم ولا عمل فهؤلاء قد يجوزون أو بعضهم تكافؤ الأدلة ويجعلون الواجب التخيير بين القولين وهؤلاء يقولون ليس على الظن دليل فى نفس الأمر وإنما رجحان أحد القولين هو من باب الرجحان بالميل والإرادة كترجيح النفس الغضبية للانتقام والنفس الحليمة للعفو وهذا القول خطأ فإنه لا بد فى نفس الأمر من حق معين يصيبه المستدل وتارة ويخطئه أخرى كالكعبة فى حق من إشتبهت عليه القبلة إذا أداه إجتهاده إلى جهة سقط عنه الفرض بالصلاة إليها كالمجتهد إذا أداه إجتهاده إلى قول فعمل بموجبه كلاهما مطيع لله وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله وله أجر على ذلك وليس مصيباً بمعنى أنه علم الحق المعين فإن ذلك لا يكون إلا واحداً ومصيبة له أجران وهذا فى كشف الأنواع التى يكون عليها دليل شرعى لكن قد يخفى على العبد فإن الشارع بين الأحكام الكلية وأما الأحكام المعينات التى تسمى تنقيح المناط مثل كون الشخص



المعِين عدلاً أو فاسقاً أو مؤمناً أو منافقاً أو ولياً لله أو عدواً له وكون هذا المعِين عدواً للمسلمين يستحق القتل وكون هذا العقار لبيتم أو فقير يستحق الإحسان إليه وكون هذا المال يخاف عليه من ظلم ظالم فإذا زهد فيه الظالم إنتفع به أهله فهذه الأمور لا يجب أن تعلم بالأدلة الشرعية العامة الكلية بل تعلم بأدلة خاصة تدل عليها ومن طريق ذلك الإلهام فقد يلهم الله بعض عباده حال هذا المال المعِين وحال هذا الشخص المعِين وإن لم يكن هناك دليل ظاهر يشركه فيه غيره وقصة موسى مع الخضر هي من هذا الباب ليس فيها مخالفة لشرع الله تعالى فإنه لا يجوز قط لأحد لا نبي ولا ولي أن يخالف شرع الله لكن فيها علم حال ذلك المعِين بسبب باطن يوجب فيه الشرع ما فعله الخضر كمن دخل إلى دار واخذ ما فيها من المال لعلمه بأن صاحبها أذن له وغيره لم يعلم ومثل من رأى ضالة أخذها ولم يعرفها لعلمه بأنه أتى بها هدية له ونحو ذلك ومثل هذا كثير عند أهل الإلهام الصحيح<sup>1</sup>

وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ} {الحجر 75} قال الترمذي حديث حسن وقد جاء عن بعض السلف أن قلوب المؤمنين تضيء لأهل السماوات كما تضيء الكواكب لأهل الأرض والمخلوق الذي تظهر محبته وذكره وطاعته في بعض البلاد يقال فلان قد ظهر في هذه الأرض فإذا ظهر ذكر الله وذكر أسمائه وصفاته وتوحيده وآياته وعبادته حتى امتلأت القلوب بذلك بعد أن كانت ممتلئة بظلمة الكفر والشرك كان ذلك مما أخبر به من ظهوره وهذا أعظم ما يكون في بيوته التي يعبد فيها ويذكر فيها اسمه<sup>2</sup>

## مكذبون لجنس الرسل

قال تعالى {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ} {80} وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} {81} وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ} {82} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ} {83} فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {84} الحجر 80-84 فإن الناس في النبوة على درجات منهم من يحتاج إلى أن يعلم جنس النبوة فيصدق بجنس الرسل من البشر لا يكذب بالجنس كما كذب بذلك من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ولهذا يقول تعالى {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ} {الحجر 80} لأن تكذيبهم لم يكن لشخص واحد بل كانوا مكذبين لجنس الرسل وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكية كقوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} {الأنعام 91} فاحتج بإنزال كتاب موسى لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات الدالة على صدقه والإنجيل تبع للتوراة في الكتاب للتوراه ثم قال {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدَّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} {الأنعام 92} لما قام من الآيات الدالة على نزوله ولهذا يذكر سبحانه في السور المكية من تثبيت أمر الرسل وآياتهم وبراهينهم وحسن عاقبتهم ومن ضلال مخالفهم وجهلهم وغيرهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما فيه عبرة<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 473-479 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 332 و مجموع الفتاوى ج: 13 ص:

73-68 و الجواب الصحيح ج: 4 ص: 323

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 3 ص: 147

<sup>3</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 518

والأنبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لا يجوز ان يكذب نبي نبيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصي كل نبي قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } {150} أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } {151} النساء 150-151 وقال تعالى { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } البقرة 85 ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ { الشعراء 105 ولم يرسل اليهم قبل نوح أحدا وقال تعالى { وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ } الفرقان 37<sup>1</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى { قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ } {55} قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } {56} الحجر 55-56 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة<sup>2</sup>

2- قال تعالى { وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ } {67} قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ } {68} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ } {69} الحجر 67-69 أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منهما مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضايقة كأبوة والبنوة أو كالأخوة من الجانبين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوبيا للأمر مقصودا له كما في قوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ } {الحجر 69} وفي قوله { وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } البقرة 195 وفي قوله { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } الحديد 7 وفي قوله { اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } المائدة 72 وفي قوله { فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا } يونس 84 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكل أمور مطلوبة مقصودة بل هي نفس الأمور به<sup>3</sup>

3- قال تعالى { وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ } {67} قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ } {68} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ } {69} قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ } {70} الحجر 67-70 العالمين يراد به الأدميون فقط على اختلاف اصنافهم كما في قوله تعالى { أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ } الشعراء 165 { وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأُونَ الْفَاجِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } العنكبوت 28 وهم كانوا لا يأتون البهائم ولا الجن<sup>4</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 185-186

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

<sup>3</sup>اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 51

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

4-قال تعالى { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** } الحجر 75 فان الاسم مقصوده اظهار المسمى وبيانه وهو مشتق من السمو وهو العلو كما قال النحاة البصريون وقال النحاة الكوفيون هو مشتق من السمة وهي العلامة وهذا صحيح فى الاشتقاق الاوسط وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما فانه فى كليهما السين والميم والواو والمعنى صحيح فان السمة والسميا العلامة ومنه يقال وسمته اسمه كقوله { **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم** } القلم 16 ومنه التوسم كقوله { **لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** } الحجر 75<sup>1</sup>

5-قال تعالى { **فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** } الحجر 84 أن الكسب هو الفعل الذى يعود على فاعله بنفع أو ضر كما قال تعالى { **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** } البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 207

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

## الحجر 85-99

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {86} وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ {87} لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ {88} وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ {89} كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ {90} الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ {91} فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {93} فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {94} إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {95} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {96} وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ {97} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {98} وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينَ {99}

### لله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها

قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {86} } الحجر 85-86 أن الله سبحانه حكيم رحيم وقد أخبر أنه لم يخلق المخلوقات إلا بحكمته كما قال في قوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ص 27 وقال تعالى { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {191} } آل عمران 190-191 وقال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخِذًا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ {17} } الانبياء 16-17 وقال وهذا يبين أن معنى قوله في سائر الآيات بالحق هو لهذا المعنى الذي يتضمن حكمته كما قال { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ } الأنعام 73 وقوله { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {86} } الحجر 85-86 وبعض الناس يظن أن قوله { هُوَ الْخَلَّاقُ } الحجر 86 إشارة إلى أنه خالق أفعال العباد فلا ينبغي التشديد في الإنكار عليهم بل يصفح عنهم الصفح الجميل لأجل القدر و هذا من أعظم الجهل فإنه سبحانه قد عاقب المخالفين له و لرسله و غضب عليهم و أمر بمعاقبتهم و أعد لهم من العذاب ما ينافي قول هؤلاء المعطلين لأمره و نهيه و وعده و وعيده و قوله { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ } الحجر 85 تعلق بما قبله و هو قوله { وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ } الحجر 85 فإن لهم موعدا يجزون فيه ن كما قال تعالى في نظائر ذلك { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } الرعد 40 { فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ {21} لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ {22} إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ {23} فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ {24} إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ {25} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ {26} } العاشية 21-26 وقوله { فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِئَ } الصافات 174 وقوله { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } الزخرف 89 ولم يعذر الله أحدا قط بالقدر و لو عذر به لكان أنبيأؤه و أوليأؤه أحق بذلك و آدم إنما حج موسى لأنه لأمه على المصيبة التي أصابت الذرية فقال له لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة و ما أصاب العبد من المصائب فعليه أن يسلم فيها لله و يعلم أنها مقدورة عليه كما قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } النعيمان 11 قال علقمة و قد روى عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم فالعبد مأمور بالتقوى و الصبر فالتقوى فعل ما أمر به و من الصبر على ما أصابه و هذا هو صاحب العاقبة المحمودة كما قال يوسف عليه السلام { إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وقال تعالى { وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ } يوسف 90

الأُمُور { آل عمران 186 } وَ قَالَ { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً } آل عمران 120 وَ قَالَ { بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ } آل عمران 125 لا بد لكل عبد من أن يقع منه ما يحتاج معه إلى التوبة و الإستغفار و يبئلى بما يحتاج معه إلى الصبر فهذا يؤمر بالصبر و الإستغفار كما قيل لأفضل الخلق { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 وَ قد بسط الكلام فى غير هذا الموضوع على مناظرة آدم و موسى فإن كثيراً من الناس حملوها على محامل مخالفة للكتاب و السنة و إجماع الأمة و منهم من كذب بالحديث لعدم فهمه له و الحديث حق يوجب أن الإنسان إذا جرت عليه مصيبة بفعل غيره مثل أبيه او غير أبيه لا سيما إذا كان أبوه قد تاب منها فلم يبق عليه من جهة الله تبعه كما جرى لآدم صلوات الله عليه قال تعالى { وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } { 121 } ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى { 122 } طه 121-122 وَ قَالَ { فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ } البقرة 37 وَ كان آدم و موسى أعلم بالله من أن يحتج أحدهما لذنبه بالقدر و يوافقه الآخر و لو كان كذلك لم يحتج آدم إلى توبة و لا أهبط من الجنة و موسى هو القائل { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وَ هو القائل { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ ادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأعراف 151 وَ هو القائل { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } الأعراف 155 وَ هو القائل لقومه { فَتَوَبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ } البقرة 54 فلو كان المذنب يعذر بالقدر لم يحتج إلى هذا بل كان الإحتجاج بالقدر لما حصل من موسى ملام على ما قدر عليه من المصيبة التى كتبها الله و قدرها وَ من الإيمان بالقدر أن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطاه لم يكن ليصيبه فالمؤمن يصبر على المصائب و يستغفر من الذنوب و المعائب و الجاهل الظالم يحتج بالقدر على ذنوبه و سيئاته و لا يعذر بالقدر من أساء إليه و لا يذكر القدر عند ما يبسره الله له من الخير فعكس القضية بل كان الواجب عليه إذا عمل حسنة أن يعلم أنها نعمة من الله هو يسرها و تفضل بها فلا يعجب بها و لا يضيفها إلى نفسه كأنه الخالق لها و إذا عمل سيئة إستغفر و تاب منها و إذا أصابته مصيبة سماوية أو بفعل العباد يعلم أنها كانت مقدره مقضية عليه و هذا مبسوط فى موضعه وَ المراد هنا أنه سبحانه بين أنه إنما خلق المخلوقات لحكمته و هذا معنى قوله بالحق وَ قد ذم من ظن أنه خلق ذلك باطلا و عبثا فقال { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } المؤمنون 115 وَ قَالَ { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } القيامة 36 وَ قَالَ { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ } { 190 } الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَ قُعُوداً وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } { 191 } آل عمران 190-191 فلا بد من جزاء العباد على أعمالهم فهذا قيل { فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } الحجر 85 وَ لله سبحانه فى كل ما يخلقه حكمة يحبها و يرضاها و هو سبحانه أحسن كل شيء خلقه و أتقن كل ما صنع فما وقع من الشر الموجود فى المخلوقات فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية فهو من الله حسن جميل و هو سبحانه محمود عليه و له الحمد على كل حال و إن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص وَ هذا موضوع عظيم قد بسط فى غير هذا الموضوع فإن الناس فى باب خلق الرب و أمره و لم فعل ذلك على طرفين و وسط فالقدرية من المعتزلة و غيرهم قصدوا تعظيم الرب و تنزيهه عما ظنوه قبيحا من الأفعال و ظلما فأنكروا عموم قدرته و مشيئته و لم يجعلوه خالقا لكل شيء و لا أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن بل قالوا يشاء ما لا يكون و يكون ما لا يشاء ثم إنهم و ضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه و يحرم بالقياس على أنفسهم و تكلموا فى التعديل و التجويز بهذا القياس الفاسد الذى شبهوا فيه الخالق بالمخلوق فضلوا و أضلوا و قابلهم الجهمية الغلاة فى الجبر فأنكروا حكمة الله و رحمته و قالوا لم يخلق لحكمة و لم يأمر بحكمة و ليس فى القرآن لام كي لا فى خلقه و لا فى أمره وَ زعموا أن قوله { وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ } الجاثية 13 وَ { خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً } البقرة 29 وَ قوله { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يُجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } النجم 31 وَ قوله { وَ لَتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ وَ لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ } البقرة 185 وَ قوله { لئن لآ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل } النساء 165 وَ أمثال ذلك إنما اللام فيه لام العاقبة كقوله { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا } القصص 8 وَ قول القائل لدوا للموت و ابنوا للخراب و لم يعلموا أن لام العاقبة إنما تصح ممن يكون جاهلا بعاقبة فعله كفرعون الذى لم يكن يدري ما ينتهي إليه أمر موسى أو ممن يكون عاجزا عن رد عاقبة فعله كعجز بني آدم عن دفع الموت عن أنفسهم و الخراب عن ديارهم فأما من هو بكل شيء عليم و على كل شيء قدير و هو مرید لكل ما خلق فيمتنع فى حقه لام العاقبة التى تتضمن نفى العلم أو نفى القدرة وَ أنكر هؤلاء محبة الله و رضاه لبعض الموجودات دون بعض و قالوا المحبة و الرضا هو من معنى الإرادة و الله مرید لكل ما خلقه فهو راض بذلك محب له وَ زعموا أن ما فى القرآن من نفى حبه و رضاه

بالكفر و المعاصي كقوله { وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ } البقرة 205 { وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ } الزمر 7 محمول على عباده الذين لم يقع ذلك منهم أو أنه لم يرده ديناً يثيبهم عليه و زعموا أن الله لا يحب و لا يرضي ما أمر به من العبادات إلا إذا وقع فيريده كما يريد حينئذ ما وقع من الكفر و المعاصي إلى غير ذلك من قوالهم المبسوطة في غير هذا الموضوع و كثير من المتأخرين يظن أن هذا قول أهل السنة و هذا مما لم يقله أحد من سلف الأمة و أئمتها بل جميع مثبتة القدر المتقدمين كانوا يفرقون بين المحبة و الرضا و بين الإرادة و لكن أبو الحسن الأشعري إتبع جهما في ذلك قال أبو المعالي الجويني و مما اختلف أهل الحق في إطلاقه و عدم إطلاقه المحبة و الرضا فصار المتقدمون إلى أنه سبحانه لا يحب الكفر و لا يرضاه و كذلك كل معصية و قال شيخنا أبو الحسن المحبة هي الإرادة نفسها و كذلك الرضا و الإصطفاء و هو سبحانه يريد الكفر و يرضاه كفراً معاقباً عليه و هو كما قال أبو المعالي فإن المتقدمين من جميع أهل السنة على ما دل عليه الكتاب و السنة من أنه سبحانه لا يرضي ما نهى عنه و لا يحبه و على ذلك قدماء أصحاب الأئمة الأربعة أصحاب أبي حنيفة و مالك و الشافعي أحمد كأبي بكر عبدالعزيز و غيره من قدمائهم و لكن من المتأخرين من سوى بين الجميع كما قاله أبو الحسن و هو في الأصل قول لجهم فهو الذي قال في القدر بالجبر و بما يخالف أهل السنة وانكر رحمة الله تعالى و كان يخرج إلى الجذمي فيقول أرحم الراحمين يفعل هذا فنفي أن يكون الله أرحم الراحمين و قد قال الصادق المصدوق الله أرحم بعباده من الوالدة بولده و هذه مسائل عظيمة ليس هذا موضع بسطها و إنما المقصود هنا التنبيه على الجمل فإن كثيراً من الناس يقرأ كتباً مصنفة في أصول الدين و أصول الفقه بل في تفسير القرآن و الحديث و لا يجد فيها القول الموافق للكتاب و السنة الذي عليه سلف الأمة و أئمتها و هو الموافق لصحيح المنقول و صريح المعقول بل يجد أقوالاً كل منها فيه نوع من الفساد و التناقض فيحار ما الذي يؤمن به في هذا الباب و ما الذي جاء به الرسول و ما هو الحق و الصدق إذ لم يجد في تلك الأقول ما يحصل به ذلك و إنما الهدى فيما جاء به الرسول الذي قال الله فيه { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } {52} صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَىٰ ٱللَّهِ تُصِيرُ ٱلْأُمُورَ } {53} الشورى 52-53<sup>1</sup>

## أن الله لم يخلق شيئاً ما إلا لحكمة فلا يكون في المخلوقات شر محض

و العدم المحض ليس بشيء حتى يضاف إلى الله تعالى و أما إن كان الشيء موجوداً كالألم و سبب الألم فينبغي أن يعرف أن الشر الموجود ليس شراً على الإطلاق و لا شراً محضاً و إنما هو شر في حق من تألم به و قد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد و لهذا جاء في الحديث الذي رواه مسلسلاً أمنت بالقدر خيره و شره و حلوه و مره و في الحديث الذي رواه أبو داود لو أنفقت ملء الأرض ذهباً لما قبله منك حتى تؤمن بالقدر خيره و شره و تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك فالخير و الشر هما بحسب العبد المضاف إليه كالحلو و المر سواء و ذلك ان من لم يتألم بالشيء ليس في حقه شراً و من تنعم به فهو في حقه خير كما كان النبي صلى الله عليه و سلم يعلم من قص عليه أخوه رؤياً أن يقول خيراً تلقاه و شراً توقاه خيراً لنا و شراً لأعدائنا فإنه إذا أصاب العبد شر سر قلب عدوه فهو خير لهذا و شر لهذا و من لم يكن له وليا و لا عدوا فليس في حقه لا خيراً و لا شراً و ليس في مخلوقات الله ما يؤلم الخلق كلهم دائماً و لا ما يؤلم جمهورهم دائماً بل مخلوقاته إما منعمة لهم أو لجمهورهم في أغلب الأوقات كالشمس و العافية فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقاً عما فعلم أن الشر المخلوق الموجود شر مقيد خاص و فيه وجه آخر هو به خير و حسن و هو أغلب وجهيه كما قال تعالى { أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } {السجدة 7} و قال تعالى { صُنِعَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ } {النمل 88} و قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ } {الحجر 85} و قال { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا } آل عمران 191 و قد علم المسلمون أن الله لم يخلق شيئاً ما إلا لحكمة فتلك الحكمة وجه

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 98-102

حسنه و خيره و لا يكون فى المخلوقات شر محض لا خير فيه و لا فائدة فيه بوجه من الوجوه و بهذا يظهر معنى قوله و الشر ليس إليك<sup>1</sup>

## لابد من الجزاء على الأعمال بالثواب والعقاب وقيام القيامة

قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} {86} الحجر 85- 86 من كذب بالرسول بعد الإرسال فكفره ظاهر و لكن من ظن أن الله لا يرسل إليه رسولا و أنه يترك سدى مهملا لا يؤمر و لا ينهى فهذا أيضا مما ذمه الله إذا كان لابد من إرسال الرسل و إنزال الكتب كما أنه أيضا لابد من الجزاء على الأعمال بالثواب و العقاب و قيام القيامة و لهذا ينكر سبحانه على من ظن أن ذلك لا يكون فقال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} {27} أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المؤمنين كالفجار} {28} ص 27- 28 و قال تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} المؤمنون 115 و قال {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الجاثية 22 و قال عن أولي الألباب {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} آل عمران 191 و نحوه فى القرآن مما يبين أن الأمر و النهي و الثواب و العقاب و المعاد مما لابد منه و ينكر على من ظن أو حسب أن ذلك لا يكون و هو يقتضي وجوب وقوع ذلك و أنه يمتنع أن لا يقع و هذا متفق عليه بين أهل الملل المصدقين للرسول من المسلمين و غيرهم من جهة تصديق الخبر فإن الله أخير بذلك و خبره صدق فلا بد من وقوع مخبره و هو واجب بحكم وعده و خبره فإنه إذا علم أن ذلك سيكون و أخبر أنه سيكون فلا بد أن يكون فيمتنع أن يكون شيء على خلاف ما علمه و أخبر به و كتبه و قدره و أيضا فإنه قد شاء ذلك و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و لابد أن يقع كل ما شاءه<sup>2</sup>

## ذكر الله تعالى فى القرآن الصفح الجميل والصبر الجميل والهجر الجميل

قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} {86} الحجر 85- 86 فإن الله أمر نبيه بالهجر الجميل و الصفح الجميل و الصبر الجميل فالهجر الجميل هجر بلا أذى و الصفح الجميل صفح بلا عتاب و الصبر الجميل صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه الصلاة والسلام {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} يوسف 86 مع قوله {فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} يوسف 18 فالشكوى إلى الله لا تنافى الصبر الجميل و يروى عن موسى عليه السلام أنه كان يقول اللهم لك الحمد و إليك المشتكى و أنت المستعان و بك المستغاث و عليك التكلان و من دعاء النبي اللهم إليك أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى و هوانى على الناس أنت رب المستضعفين و أنت ربى اللهم إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى أن لم يكن بك غضب على فلا أبالى غير أن عافيتك هى أوسع لى أعود بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة أن ينزل بى سخطك أو يحل على غضبك لك العتبى حتى ترضى و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ فى صلاة الفجر إنما أشكو بثى و حزنى إلى الله و يبكى حتى يسمع نسيجه من آخر الصفوف بخلاف الشكوى إلى المخلوق قرىء على الإمام أحمد فى مرض موته إن طاووسا كره ابنين المريض و قال أنه شكوى فما أن حتى مات و ذلك ان المشتكى طالب بلسان الحال إما إزالة ما يضره أو حصول ما ينفعه و العبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه كما قال تعالى {فَإِذَا فَرَغْتَ

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 20- 21

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 497

فَانصَبَ {7} وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ {8} الشرح 7-8 وقال صلى الله عليه وسلم لإبن عباس إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ولا بد للإنسان من شيئين طاعته بفعل الأمور وترك المحظور وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدر فالأول هو التقوى والثاني هو الصبر قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} آل عمران 118 إلى قوله {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} آل عمران 120 وقال تعالى {بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} آل عمران 125 وقال تعالى {الْتَبَلُّونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} آل عمران 186 وقد قال يوسف { أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90<sup>1</sup>

## القرآن العظيم له إختصاص بهذا الوصف

قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} الحجر 87 فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة قال تعالى {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ} المائدة 48 وقال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر 9 وقال تعالى {قُلْ لِّئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} الإسراء 88 وقال تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} الزمر 23 فأخبر أنه أحسن الحديث فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة وقال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} الحجر 87 وسواء كان المراد بذلك الفاتحة أو القرآن كله فإنه يدل على أن القرآن العظيم له إختصاص بهذا الوصف على ما ليس كذلك وقد سمى الله القرآن كله مجيدا و كريما وعزيزا وقد تحدى الخلق بأن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه أو بمثل سورة منه فقال {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} الطور 34 وقال {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ} هود 13 وقال {فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ} البقرة 23<sup>2</sup>

## أفضل سورة في القرآن

وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن أنها أفضل سورة في القرآن وأنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} الحجر 87<sup>3</sup>

## الله تعالى يعظم ما هو عظيم اما لعظمة سببه او لعظمته

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 666-668 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 187

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 14

<sup>3</sup>رسالة في التوبة ج: 1 ص: 272



قال تعالى **{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}** الحجر 87 وقول القائل التعجب استعظام للمتعجب منه فيقال نعم وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب وقد يكون لما خرج عن نظائره والله تعالى بكل شيء عليم فلا يجوز عليه ان لا يعلم سبب ما تعجب منه بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيماً له والله تعالى يعظم ما هو عظيم اما لعظمة سببه او لعظمته فانه وصف بعض الخير بأنه عظيم ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى **{رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** النمل 26 وقال **{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}** الحجر 87 وقال **{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا}** {66} **{وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا}** {67} النساء 66- 67 وقال **{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَلَتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}** النور 16 وقال **{إِنَّ الشُّرْكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ}** لقمان 13 ولهذا قال تعالى **{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}** الصافات 12 على قراءة الضم فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي للذي آثر هو وامراته ضيفهما لقد عجب الله وفي لفظ في الصحيح لقد ضحكك الله الليلة من صنعكما البارحة وقال ان الرب ليعجب من عبده اذا قال رب اغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت يقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب الا انا وقال عجب ربك من شاب ليست له صبوة وقال عجب ربك من راعي غنم على رأس شظية يؤذن ويقوم فيقول الله انظروا الى عبدي أو كما قال ونحو ذلك<sup>1</sup>

## من نظر على وجه استحسان الدنيا والرياسة والمال فهو مذموم

فمن نظر على وجه استحسان الدنيا والرياسة والمال فهو مذموم لقوله تعالى **{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}** طه 131<sup>2</sup>

قال تعالى **{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** الحجر 88 قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وقد قال تعالى عن المنافقين **{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}** المنافقون 4 وقال تعالى **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِثِيًّا}** مريم 74 والأثاث المال من اللباس ونحوه والرئي المنظر فأخبر أن الذين أهلكتهم قبلهم كانوا أحسن صوراً وأحسن أثاناً وأموالاً ليبين أن ذلك لا ينفع عنده ولا يعبأ به وقال النبي لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى وفي السنن عنه أنه قال البذاذة من الإيمان وأيضاً فقد حرم علينا من لباس الحرير والذهب وأنية الذهب والفضة ما هو من أعظم الجمال في الدنيا وحرّم الله الفخر والخيلاء واللباس الذي فيه الفخر والخيلاء كإطالة الثياب حتى ثبت في الصحيح عنه أنه قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ومثل ذلك ما في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً وفي الصحيح عن ابن عمر أن النبي قال بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة وقال تعالى **{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا لِبَاسًا يُّوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ**

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 124

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 249

ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ { الأعراف 26 فأخبر أن لباس التقوى خير من ذلك وقال تعالى { أَوْ مَنْ يُنْسَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ { الزخرف 18 وقال تعالى في حق قارون { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ { القصص 79 قالوا بثياب الأرجوان ولهذا ثبت عن عبدالله بن عمرو قال رأى رسول الله على ثوبين معصفرين فقال إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما قلت أغسلهما قال أحرقهما ولهذا كره العلماء الأحمر المشبع حمرة كما جاء النهى عن الميثرة الحمراء وقال عمر بن الخطاب دعوا هذه البراقات للنساء والآثار في هذا ونحوه كثيرة وقال تعالى { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ { النور 30 إلى قوله { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ { النور 31 وقال النبي في الحديث الصحيح عن جرير بن عبدالله قال سألت رسول الله عن نظرة الفجأة فقال أصرف بصرك وفي السنن أنه قال لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة وقد قال تعالى { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى { طه 131 وقال { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ { الحجر 88 وقال { زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ { آل عمران 14 إلى قوله { قُلْ أَوْلِيْبُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ { آل عمران 15 وقد قال تعالى مع ذمه لما ذمه من هذه الزينة { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ { الأعراف 32 فنقول اعلم أن ما يصفه النبي من محبته للأجناس المحبوبة وما يبغضه من ذلك هو مثل ما يأمر به من الأفعال وينهى عنه من ذلك فإن الحب والبغض هما أصل الأمر والنهى وذلك نظير ما يعده على الأعمال الحسنة من الثواب ويتوعد به على الأعمال السيئة من العقاب فأمره ونهيه ووعده ووعيده وحبه وبغضه وثوابه وعقابه كل ذلك من ((ملاحظة الموضوع غير مكتمل يرجع الى نفس المرجع من مصدر اخر)) وقد بسطنا الكلام على ما يتعلق بهذه القاعدة في غير موضع لتعلقها بأصول الدين وفروعه فإن من أكبر شعبها<sup>1</sup>

## النهي عن الحزن على الكفار والرغبة فيما عندهم

أن لا يركن اليهم ولا يمد عينه الى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات كقوله { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ { الحجر 88 فنهاء عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية ونهاه عن الحزن عليهم والرغبة منهم في آية فإن الانسان قد يتألم عليهم ومنهم اما راغبا واما راهبا<sup>2</sup>

قوله تعالى { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ { الحجر 88 وقوله سبحانه { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ { طه 131 يتناول النظر إلى الأموال واللباس والصور وغير ذلك من متاع الدنيا أما اللباس والصور فهما اللذان لا ينظر الله إليهما كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي قال إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وقد قال تعالى { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًّا { مريم 74 وذلك أن الله يمتع الصور كما يمتع بالأموال وكلاهما من زهرة الحياة الدنيا وكلاهما يفتن أهله واصحابه وربما أفضى به إلى الهلاك دنيا وأخرى والهلكى رجالان فمستطيع وعاجز فالعاجز مفتون بالنظر ومد العين إليه والمستطيع مفتون فيما أوتى منه غارق قد أحاط به مالا يستطيع إنقاذ نفسه منه وهذا المنظور قد يعجب المؤمن وإن كان المنظور منافقا أو فاسقا كما يعجبه المسموع منهم قال تعالى { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ { المنافقون 4 فهذا تحذير من الله تعالى من النظر إليهم وإستماع قولهم فلا ينظر إليهم ولا يسمع قولهم فإن الله سبحانه قد أخبر أن رؤياهم تعجب الناظرين إليهم وأن قولهم يعجب السامعين ثم أخبر عن فساد قلوبهم وأعمالهم بقوله { كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ { المنافقون 4 فهذا مثل قلوبهم وأعمالهم وقال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا { البقرة 204 الآية وقد قال تعالى في قصة قوم لوط { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ { الحجر 75 والتوسم من السمة وهي العلامة فأخبر

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 128-129 والاستقامة ج: 1 ص: 429

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 481

سبحانه أنه جعل عقوبات المعتدين آيات للمتوسمين وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ } الحجر 75 فدل ذلك على أن من اعتبر بما عاقب الله به غيره من أهل الفواحش كان من المتوسمين<sup>1</sup>

## الْحَزَنُ لَا يَجْلِبُ مَنْفَعَةً وَلَا يَدْفَعُ مَضْرَةً

وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله والإخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال أحد وإن ارتقى مقامه وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بامر الدين كقوله تعالى { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 139 وقوله { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } النحل 127 وقوله { إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التوبة 40 وقوله { وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ } يونس 65 وقوله { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } الحديد 23 وأمثال ذلك كثير وذلك لانه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يَأْتُمُ صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا على حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا او يرحم وأشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب ومنه قوله تعالى { وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } يوسف 84 وقد تبين بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا افضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نهى عنه والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من جهة الحزن وأما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة اخرى وأما المحبة لله والتوكل والإخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبية في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك إن أراد خروج الخاصة عنها فإن هذه لا يخرج عنها مؤمن قط وإنما يخرج عنها كافر ومناقق<sup>2</sup>

## الرَّسُولُ أَمْرٌ بِخَفْضِ جَنَاحِهِ وَهُوَ جَانِبُهُ وَالْوَالِدُ أَمْرٌ بِخَفْضِ جَنَاحِهِ ذَلَا

قال تعالى { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } الحجر 88 وقوله تعالى { وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ } الإسراء 24 فيقال لا ريب ان الذل ليس له جناح مثل جناح الطائر كما انه ليس للطائر جناح مثل اجنحة الملائكة ولا جناح الذل مثل جناح السفر لكن جناح الانسان جانبه كما ان جناح الطير جانبه والولد مأمور بان يخفض جانبه لابيويه ويكون ذلك على وجه الذل لهما لا على وجه الخفض الذي لا ذل معه وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم { وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } الشعراء 215 ولم يقل جناح الذل فالرسول امر بخفض جناحه وهو جانبه والولد امر بخفض جناحه ذلا فلا بد مع خفض جناحه ان يذل لابيويه بخلاف الرسول فانه لم يؤمر بالذل فاقتران الفاظ القرآن تدل على اقتران معانيه واعطاء كل معنى حقه ثم انه سبحانه كمل ذلك بقوله { مِنَ الرَّحْمَةِ } الإسراء 24 فهو جناح ذل من الرحمة لا جناح ذل من العجز والضعف اذ الاول محمود والثاني مذموم<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 398-400

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 17 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 42 و مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 16

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 466

## {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }

قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } {87} لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } {88} وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ } {89} كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ } {90} الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } {91} فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {93} فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } {94} إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } {95} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } {96} الحجر 87 - 96 فإن الكفار بالأنبياء من عاداتهم أن تقول كل طائفة فيه قولاً يناقض قول الطائفة الأخرى وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنزل عليه وأقوالهم كلها أقوال مختلفة باطلة فبين سبحانه أن الكفار ضربوا له أمثالا كلها باطلة ومثلوه بالمسحور ضلوا فيها عن الحق فلا يستطيعون مع الضلال سبيلا إلى الحق قوله تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } {87} لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } {88} وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ } {89} كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ } {90} الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } {91} فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {93} فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } {94} إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } {95} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } {96} الحجر الآيات 87 96 قال كثير من السلف الذين جعلوا القرآن عِضِينَ هم الذين عضهوه فقالوا سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك<sup>1</sup>

وفي رواية أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضا ويرد بعضهم قول بعض فقالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به فقال بل أنتم تقولوا وأنا أسمع فقالوا نقول كاهن فقال ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا نقول مجنون فقال ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر بجزه وهزجه وقريظه ومقبوضه وميسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال فما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده فقالوا ما نقول يا أبا عبد شمس قال والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لعدق وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وذلك من قوله { دَرَنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا } {11} المدثر إلى قوله { سَأُصَلِّيهِ سَفَرًا } {26} المدثر 26 وأنزل في نفر الذين كانوا معه {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } {الحجر 91} أي أصنافا<sup>2</sup>

## "خصلتان يسأل عنهما كل أحد"

فإنه لا بد للعبد من لقاء الله ولا بد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } {الأعراف 6} وقال تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {93} الحجر 92-93<sup>3</sup>

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 157

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 5 ص: 375

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 615

وأصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله كما قال تعالى **{فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {93} الحجر 92-93}** قال أبو العالية خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجبتم المرسلين فالأولى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والثانية تحقيق الشهادة بان محمدا رسول الله ولهذا يقرر الله هذين الأصلين في غير موضع من القرآن بل يقدمهما على كل ما سواهما لأنهما أصل الأصول<sup>1</sup>

## يقسم الله سبحانه بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته

وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور وانما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته فالقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى **{فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ} الذاريات 23** وإما على جملة طلبية كقوله تعالى **{فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {93} الحجر 92-93}** مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به محض القسم والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية اذا أقسم على ثبوتها فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها وما أقسم عليه الرب عز وجل فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس<sup>2</sup>

## القول يجعل قسيما للفعل تارة وقسما منه أخرى

قد يجعل الكلام قسيما للعمل ليس قسما منه في مثل قوله تعالى **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} فاطر 10** وقد يجعل قسما منه كما في قوله **{فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {92} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {93} الحجر 92-93}** قال طائفة من السلف عن قول لا إله إلا الله ومنه قول النبي في الحديث الصحيح لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فقال رجل لو أن لى مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل ولهذا تنازع أصحاب أحمد فيمن حلف لا يعمل اليوم عملا هل يحنث بالكلام على قولين ذكرهما القاضى أبو يعلى وغيره<sup>3</sup>

فان الكلام الذى يتكلم به الانسان يتضمن فعلا كالحركة ويتضمن ما يقتدرن بالفعل من الحروف والمعانى ولهذا يجعل القول قسيما للفعل تارة وقسما منه أخرى فالأول كما يقول الايمان قول وعمل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به ومنه قوله تعالى **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ**

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 273 ورسالة في فنون الأشياء ج: 1 ص: 24 و مجموع الفتاوى ج: 19 ص:

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 316

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 375

الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ { فاطر 10 } وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ { يونس 61 } وأمثال ذلك مما يفرق بين القول والعمل وأما دخول القول في العمل ففي مثل قوله تعالى { قَوْلِكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ { 92 } عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ { 93 } } الحجر 92-93 وقد فسروه بقول لا إله إلا الله

ولما سئل أى الأعمال أفضل قال الايمان بالله مع قوله الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ونظائر ذلك متعددة وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملاً إذا قال قولاً كالقراءة ونحوها هل يحتث على قولين فى مذهب أحمد وغيره بناء على هذا فهذه الألفاظ التى فيها اجمال واشتباه إذا فصلت معانيها والا وقع فيها نزاع واضطراب والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>1</sup>

## ما امر الله به المؤمنين بالعمو والصفح عن المشركين فانه نسخ ذلك بنزول

### براءة

وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى { فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } الحجر 94 { لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ } العاشية 22 { فَاَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ } المائدة 13 { وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا } النعابن 14 { فَاَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } البقرة 109 { قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ } الجاثية 14 ونحو هذا في القرآن مما امر الله به المؤمنين بالعمو والصفح عن المشركين فانه نسخ ذلك كله قوله تعالى { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } التوبة 5 وقوله تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ } التوبة 29 الى قوله { وَهُمْ صَاغِرُونَ } التوبة 29 فنسخ هذا عفوهم عن المشركين وكذلك روى الامام احمد وغيره عن قتادة قال امر الله نبيه ان يعفوا عنهم ويصفح حتى ياتي الله بامرهم وقضائه ثم انزل الله عز وجل براءة فاتى الله بامرهم وقضائه فقال تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } التوبة 29 الاية قال فنسخت هذه الاية ما كان قبلها وامر الله فيها بقتال اهل الكتاب حتى يسلموا او يقرروا بالجزية صغاراً ونقمة لهم وكذلك ذكر موسى بن عقبة عن الزهري ان النبي لم يكن يقاتل من كف عن قتاله لقوله تعالى { فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَى إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً } النساء 90 الى ان نزلت براءة وجملة ذلك انه لما نزلت براءة امر ان يبتدي جميع الكفار بالقتال وثنيهم وكتابيهم سواء كفوا عنه او لم يكفوا وان يندب اليهم تلك العهود المطلقة التي كانت بينه وبينهم وقيل له فيها { جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ } التوبة 73 بعد ان كان قد قيل له { وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ } الأحزاب 48 ولهذا قال زيد بن اسلم نسخت هذه الاية ما كان قبلها فاما قبل براءة وقبل بدر فقد كان ماموراً بالصبر على اذاهم والعمو عنهم واما بعد بدر وقبل براءة فقد كان يقاتل من يؤذيه ويمسك عن سألهم كما فعل بابن الاشرف وغيره ممن كان يؤذيه فبدر كانت اساس عز الدين وفتح مكة كانت كمال عز الدين فكانوا قبل بدر يسمعون الاذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون بالصبر عليه وفي تبوك امروا بالاغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من اذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغيظه لعلمه بانه يقتل اذا تكلم وقد كان بعد بدر لليهود استطالة واذى للمسلمين الى ان قتل كعب بن الاشرف قال محمد بن اسحاق في حديثه عن محمد بن مسلمة قال فاصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه وروى باسناده عن محيصة ان رسول الله قال من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن سليمة رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبياعهم فقتله وكان حويصة ابن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان اسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اي عدو الله قتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فوالله ان كان اسلام حويصة فقال محيصة فقلت له والله لقد امرني بقتله من لو امرني بقتلك لضربت عنقك فقال لو امرك محمد بقتلي لقتلتني فقال محيصة نعم والله فقال حويصة والله ان ديننا بلغ هذا منك لعجب وذكر غير ابن اسحاق ان اليهود حذرت وذلت وخافت من

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 562-563

يوم قتل ابن الاشراف فلما اتى الله بامرہ الذي وعده من ظهور الدين وعز المؤمنين امر رسوله بالبراءة الى المعاهدين وبقتال المشركين كافة وبقتال اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فكان ذلك عاقبة الصبر والتقوى الذين امر الله بهما في اول الامر وكان اذ ذلك لا يؤخذ من احد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية وصارت تلك الايات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه وصارت اية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده او لسانه وبهذه الاية ونحوها كان المسلمون يعملون في اخر عمر رسول الله وعلى عهده خلفائه الراشدين وكذلك هو الى قيام الساعة لاتزال طائفة من هذه الامة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام فمن كان من المؤمنين بارض هو فيها مستضعف او في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عن يؤذي الله ورسوله من الذين اتوا الكتاب والمشركين واما اهل القوة فانما يعملون بآية قتال ائمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون<sup>1</sup>

## بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال

قال الله تعالى { **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {95} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {96}** } الحجر 95-96 وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسول بعذاب الاستئصال عذابا عاجلا يهلك الله به جميع المكذبين كما أهلك قوم نوح وكما أهلك عادا واثمود وأهل مدين وقوم لوط وكما أهلك قوم فرعون وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها في الأرض إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال بل قال تعالى { **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** } القصص 43 بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر ولهذا لم يزل في الأرض أمة من بني إسرائيل باقية قال تعالى لما ذكر بني إسرائيل { **وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** } الأعراف 168 وقد قال تعالى { **مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ {113}** } يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ {114} } وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ {115} } آل عمران 113-115 وكان من حكمته ورحمته سبحانه وتعالى لما أرسل محمدا أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم بل عذب بعضهم بأنواع العذاب كما عذب طوائف ممن كذبه بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم { **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {95} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {96}** } الحجر 95-96 فعذب الله كل واحد بعذاب معروف وكالذي دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلط عليه كلبا من كلابه فكان يحترس بقومه فجاءه الأسد وأخذه من بينهم فقتله وأمثال ذلك وقد تقدم ذلك<sup>2</sup>

## كان الله سبحانه يحميه ويصرف عنه اذى الناس وشتهم بكل طريق

ومن سنة الله ان من لم يمكن المؤمنين ان يعذبه من الذين يؤذون الله ورسوله فان الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه اياه كما قدمنا بعض ذلك في قصة الكتاب المفترى وكما قال سبحانه { **فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {94} إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {95}** } الحجر 94-95 والقصة في اهلاك الله واحدا واحدا من هؤلاء المستهزئين معروفة قد ذكرها اهل السير والتفسير وهم على ما قيل نفر من رؤوس قريش منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسودان بن المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس وقد كتب النبي الى كسرى وقيصر

<sup>1</sup> الصارم المسلول ج: 2 ص: 409-414

<sup>2</sup> الجواب الصحيح ج: 6 ص: 443

وكلاهما لم يسلم لكن قيصر اكرم كتاب رسول الله واكرم رسوله فثبت ملكه فيقال ان الملك باق في ذريته الى اليوم وكسرى مزق كتاب رسول الله واستهزا برسول الله فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق ولم يبق للاكاسرة ملك وهذا والله اعلم تحقيق قوله تعالى {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} {الكوثر} 3 فكل من شنأه او ابغضه وعاداه فان الله تعالى يقطع دابره ويمحق عينه واثره وقد قيل انها نزلت في العاص بن وائل او في عقبة بن ابي معيط او في كعب بن الاشرف وقد رايت صنيع الله بهم ومن الكلام السائر لحوم العلماء مسمومة فكيف بلحوم الانبياء عليهم السلام وفي الصحيح عن النبي قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة فكيف بمن عادى الانبياء ومن حارب الله حرب واذا استقرت قصص الانبياء المذكورة في القران تجد امهم انما اهلكوا حين ادوا الانبياء وقابلوهم بقبائح القول او العمل وهكذا بنو اسرائيل انما ضربت عليهم الذلة وباؤوا بغضب من الله ولم يكن لهم نصير لقتلهم الانبياء بغير حق مضموما الى كفرهم كما ذكر الله ذلك في كتابه ولعلك لاتجد احدا اذى نبيا من الانبياء ثم لم يتب الا ولا بد ان يصيبه الله بقارعة وقد ذكرنا ما جربه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار اذا تعرضوا لسب رسول الله وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة وهذا باب واسع لا يحاط به ولم نقصد قصده هنا وانما قصدنا بيان الحكم الشرعي وكان سبحانه يحميه ويصرف عنه اذى الناس وشتمهم بكل طريق حتى في اللفظ ففي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله الاترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد فنزه الله اسمه ونعته عن الاذى وصرف ذلك الى من هو مذموم وان كان المؤذي انما قصد عينه<sup>1</sup>

## في كفاية الله له أعداءه وعصمته له من الناس آية لنبوته

ففي كفاية الله له أعداءه وعصمته له من الناس وهذا فيه آية لنبوته من وجوه منها أن ذلك تصديق لقوله تعالى { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } {94} {إِنَّا كُنَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} {95} {الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يُعْلَمُونَ} {96} {الحجر 94-96} قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات منها أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة ومنها أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم وأنه كان وحده جاهرا بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم آلهتهم وتسفيه أحلامهم والطعن في دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء العرب وكان أهل مكة أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم يعظمهم جميع الأمم أما العرب فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الأمم فكانوا يعظمونهم به لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى كما كانت الأمم تعظم بني إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر وهؤلاء بنو إسرائيل ابن خليل الله وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل الله وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم فكان أهل مكة معظمين لأنهم جيران البيت ولأنهم أشرف بني إسماعيل فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشم من قريش واصطفى محمدا من بني هاشم وكان قد عاداه أشراف هؤلاء كما عادى المسيح أشراف بني إسرائيل وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم وكذلك كفى الله محمدا من عاداه وانتقم منهم ولم ينفعهم أنسابهم ولا فضل مدينتهم فإن الله إنما يثبت بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب وفي هذه الايات إخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الصارم المسلول ج: 2 ص: 316-318

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 274-275



## { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }

وروى الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق قال حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط قد سفه احلامنا وشتم آبائنا وعاب ديننا وفرق جماعاتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول قال فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال تسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى أنه ليقول انصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً فوالله ما كنت جهولاً فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه وقام أبو بكر دونه يقول وهو يبكي أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه وذكر البخاري بعد حديث عروة عن عبد الله بن عمرو قال وقال عبدة عن هشام عن أبيه قيل لعمر بن العاص وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } { الحجر 95 } قال والمستهزون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى والحارث بن عيطل السهمي والعاص بن وائل فأوماً جبريل إلى أكحل الوليد بن المغيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعت قال كفيته وأوماً إلى الأسود بن المطلب إلى عينيته فقال ما صنعت فقال كفيته وأوماً إلى رأس الأسود بن عبد يغوث فقال ما صنعت قال كفيته وأوماً إلى الحارث السهمي إلى بطنه فقال ما صنعت قال كفيته وأوماً إلى أخصص العاص بن وائل فقال ما صنعت قال كفيته فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبله فأصاب أكحله فقطعها وأما الأسود بن المطلب فعمي فمنهم من يقول عمي هكذا ومنهم من يقول نزل تحت سمرة فجعل يقول يا بني ألا تدفعون عني ويقولون ما نرى شيئاً فجعل يقول هلكت ها هو ذا أظعن في عيني بالشوك فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه وأما الأسود فخرج في رأسه قروح فمات منها وأما الحارث بن عيطل فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف على حمار فربض به في شبرقة يعني شوكة فدخلت في أخصص قدمه فمات وقيل دخلت في رأسه شبرقة فمات رواه ابن أبي حاتم في تفسيره حبيب ثنا أبو داود ثنا أبو عوانة ثنا أبو بشر عن سعيد وروى بإسناده عن الربيع بن أنس قال أراد صاحب اليمن أن يؤي النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه الوليد فزعم أن محمداً ساحر وأتاه العاص بن وائل فأخبره أن محمداً تعلم أساطير الأولين وأتاه آخر فزعم أنه كاهن وآخر زعم أنه شاعر وآخر قال إنه مجنون فأهلكهم الله كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه وذكر تفصيل عذابهم وروى مثله عن عكرمة وقال محمد بن إسحاق ثنا يزيد بن رومان عن عروة وغيره من العلماء أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهم يطفون بالبيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانبه فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات منها ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح بأسفل كعبه كان أصابه لما مر برجل يريش نبله فخدش رجله وليس بشيء فانتقض فمات ومر به العاص بن وائل فأشار إلى إخصص قدمه فذكر مثل ما تقدم من رواية ابن عباس ورواه أبو زرعة من طرق كثيرة عن جماعة من التابعين<sup>1</sup>

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 284-291

## أعظم عون لولى الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة أمور

قال تعالى {وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ بِمَا يَقُولُونَ {97} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {98} وَعَبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ {99} الحجر 97-99} كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته يقول اللهم منك ولك وأعظم عون لولى الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة أمور أحدها الاخلاص لله والتوكل عليه بالدعاء وغيره وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن الثانى الاحسان الى الخلق بالنفع والمال الذى هو الزكاة الثالث الصبر على أذى الخلق وغيره من النوائب ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرا كقوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ {البقرة 45} وكقوله تعالى { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ لِلذَّاكِرِينَ {114} وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {115} هود 114-115} وقوله تعالى {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ {39} وقال تعالى {وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ بِمَا يَقُولُونَ {97} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {98} الحجر 97-98} وأما قرنه بين الصلاة والزكاة فى القرآن فكثير جدا فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعى والرعية إذا عرف الانسان ما يدخل فى هذه الاسماء الجامعة يدخل فى الصلاة ذكر الله تعالى ودعاؤه وتلاوه كتابه واخلاص الدين له والتوكل عليه وفى الزكاة الاحسان الى الخلق بالمال والنفع من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج فى الصحيحين عن النبي انه قال كل معروف صدقة فيدخل فيه كل إحسان ولو ببسط الوجه والكلمة الطيبة فى الصحيحين عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئا قدمه وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه فينظر أمامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل فان لم يجد فبكلمة طيبة وفى السنن عن النبي قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط ولو ان تفرغ من دلوك فى إناء المستقى وفى السنن عن النبي ان أثقل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن وروى عنه انه قال لأم سلمة يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وفى الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأشر والبطر كما قال تعالى { وَلَئِن أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ {9} وَلَئِن أَدْقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ {10} إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {11} هود 9-11} وقال لنبينه {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين {الأعراف 199} وقال تعالى {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {133} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {134} آل عمران 133-134} وقال تعالى { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {35} وَإِنَّمَا يَنزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {36} فصلت 34-36} وقال تعالى {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {الشورى 40} قال الحسن البصرى رحمة الله عليه إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ألا ليقم من وجب أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا وأصلح<sup>1</sup>

## التسبيح يقتضى التنزيه والتعظيم

قال تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {الحجر 98} والأمر بتسبيحه يقتضى أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء وإثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضى التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحامد التى

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 361-364 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 111

يحمد عليها فيقتضي ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا ابن نفيل الحراني ثنا النضر ابن عربي قال سألت رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله فقال إسم يعظم الله به و يحاشي به من السوء و قال حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا حفص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال سبحان قال تنزيه الله نفسه من السوء و عن الضحاك عن ابن عباس في قوله {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْإِسْرَاءِ} قال عجب و عن أبي الأشهب عن الحسن قال سبحان إسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه و قد جاء عن غير واحد من السلف مثل قول ابن عباس أنه تنزيه نفسه من السوء و روي في ذلك حديث مرسل و هو يقتضي تنزيه نفسه من فعل السيئات كما يقتضي تنزيهه عن الصفات المذمومة و نفي النقائص يقتضي ثبوت صفات الكمال و فيها التعظيم كما قال ميمون بن مهران إسم يعظم الله به و يحاشي به من السوء و روى عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة قال سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن التسبيح فقال إنزاهه عن السوء و قال حدثنا الضحاك ابن مخلد عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس سبحان الله قال تنزيهه حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان ثنا يزيد بن الأصم قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال لا إله إلا الله نعرفها أنه لا إله غيره و الحمد لله نعرفها أن النعم كلها منه و هو المحمود عليها و الله أكبر نعرفها أنه لا شيء أكبر منه فما سبحان الله فقال ابن عباس و ما ينكر منها هي كلمة رضيها الله لنفسه و أمر بها ملائكته و فرغ إليها الأختيار من خلقه<sup>1</sup>

## **"كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن"**

قال تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} الحجر 98 وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع و هن من القرآن سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و التحميد مقرون بالتسبيح و تابع له و التكبير مقرون بالتهليل و تابع له و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله و بحمده و في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم و في القرآن {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} الحجر 98 و قالت الملائكة { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } البقرة 30 و هاتان الكلمتان إحداهما مقرونة بالتحميد و الأخرى بالتعظيم فإننا قد ذكرنا أن التسبيح فيه نفي السوء و النقائص المتضمن إثبات المحاسن و الكمال و الحمد إنما يكون على المحاسن و قرن بين الحمد و التعظيم كما قرن بين الجلال و الإكرام إذ ليس كل معظم محبوبا محمودا و لا كل محبوب محمودا معظما و قد تقدم أن العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد و تتضمن كمال الذل له المتضمن معنى التعظيم ففي العبادة حبه و حمده على المحاسن و فيها الذل الناشئ عن عظمته و كبريائه ففيها إجلاله و إكرامه و هو سبحانه المستحق للجلال و الإكرام فهو مستحق غاية الإجلال و غاية الإكرام و من الناس من يحسب أن الجلال هو الصفات السلبية و الإكرام الصفات الثبوتية كما ذكر ذلك الرازي و نحوه و التحقيق أن كليهما صفات ثبوتية و إثبات الكمال يستلزم نفي النقائص لكن ذكر نوعي الثبوت و هو ما يستحق أن يحب و ما يستحق أن يعظم كقوله { وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ } الحج 64 و قول سليمان عليه السلام { فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } النمل 40 و كذلك قوله { لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ } التغابن 1 فإن كثيرا ممن يكون له الملك و الغنى لا يكون محمودا بل مذموما إذ الحمد يتضمن الإخبار عن المحمود بمحاسنه المحبوبة فيتضمن إخبار المحاسن المحبوبة محبة له و كثير ممن له نصيب من الحمد و المحبة يكون فيه عجز و ضعف و ذل ينافي العظمة و الغنى و الملك فالأول يهاب و يخاف و لا يحب و هذا يحب و يحمد و لا يهاب و لا يخاف و الكمال اجتماع الوصفين كما ورد في الأثر أن المؤمن رزق حلاوة و مهابة و في نعت النبي صلى الله عليه وسلم كان من رآه بديهته هابه و من خالطه معرفة أحبه ف قرن التسبيح بالتحميد و قرن التهليل بالتكبير كما في كلمات الأذان ثم أن كل واحد من النوعين يتضمن الآخر إذا افرد فإن التسبيح و التحميد يتضمن التعظيم و يتضمن إثبات ما يحمد عليه و ذلك

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 125- 126

يستلزم الإلهية فإن الإلهية تتضمن كونه محبوباً بل تتضمن أنه لا يستحق أن يحب كمال الحب إلا هو والحمد لله هو الاخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق فالإلهية تتضمن كمال الحمد ولهذا كان الحمد مفتاح الخطاب وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجزم وسبحان الله فيها إثبات عظمتها كما قدمناه ولهذا قال {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم رواه أهل السنن وقال أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمنا أن يستجاب لكم رواه مسلم فجعل التعظيم في الركوع أخص منه بالسجود والتسبيح يتضمن التعظيم ففي قوله سبحان الله وبحمده إثبات تنزيهه وتعظيمه وإلهيته وحمده وأما قوله لا إله إلا الله و الله أكبر ففي لا إله إلا الله إثبات محامده فإنها كلها داخلة في إثبات إلهيته<sup>1</sup>

## العبادة إذا سميت ما يفعل فيها دل على أنه واجب فيها

قال تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} الحجر 98 أن العبادة إذا سميت ما يفعل فيها دل على أنه واجب فيها كقوله {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} الإسراء 78 و {وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} الحجر 98 {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} طه 130<sup>2</sup>

فإن الله تعالى أوجب الركوع والسجود في الكتاب والسنة وهو واجب بالإجماع لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} الحج 77 وقوله تعالى {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} السجدة 15 وقوله تعالى {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} العلق 19 وقوله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} الحجر 98<sup>3</sup>

## الصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال

قال تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} الحجر 98 فالصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال قال تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} 97 {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} 98 {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} 99-97 الحجر 99-97 تعم جميع الطاعات وقد خصت الصلاة بذلك الأمر والاصطبار عليها<sup>4</sup>

قد ذكر الله قيام الليل في عدة آيات تارة بالمدح وتارة بالأمر أمر ايجاب ثم نسخه بأمر الاستحباب اذا لم تدخل صلاة العشاء فيه بل أريد القيام بعد النوم فانه قد قال سعيد بن المسيب وغيره من صلى العشاء في جماعة فقد أخذ بنصيبه من قيام ليلة القدر فقد جعل ذلك من القيام وقد روى عن عبيدة السلماني أن قيام الليل واجب لم ينسخ ولو كحلب شاة وهذا اذا أريد به ما يتناول صلاة الوتر فهو قول كثير من العلماء والدليل عليه أن في حديث ابن مسعود لما قال اوتروا يا اهل القرآن قال اعرابي ما يقول رسول الله فقال انها ليست لك ولا لأصحابك فقد

<sup>1</sup> الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 312-314 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 241 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 365

<sup>2</sup> شرح العمدة ج: 3 ص: 543  
<sup>3</sup> مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 566

<sup>4</sup> شرح العمدة ج: 4 ص: 88

خاطب أهل القرآن من قيام الليل بما لم يخاطب به غيرهم وعلى هذا قوله { فَاَقْرُؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } {المزمل 20} فسر بقراءته بالليل لئلا ينساه وقال نظرت في سيئات امتي فوجدت فيها الرجل يؤتية الله آية فينام عنها حتى ينساها وفي الصحيح عن النبي أنه قال من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله أي الصبح مع العشاء فهذا يدل على أنهما ليسا من قيام الليل ولكن فاعلهما كمن قام الليل قال تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } {15} أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ } {16} كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } {17} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } {18} {الذاريات 15-18} وقال { الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْفَائِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } {آل عمران 17} وهذا على أصح الأقوال معناه كانوا يهجعون قليلاً ف قليلاً منصوب ب يهجعون و ما مؤكدة وهذا مثل قوله { بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } {البقرة 88} وقوله { كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } {الذاريات 17} هو مفسر في سورة المزمل بقوله { فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا } {2} {نصفه أو انقص منه قليلاً} {3} { أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } {4} {المزمل 2-4} فهذا المستثنى من الأمر هو القليل المذكور في تلك السورة وهو قليل بالنسبة الى مجموع الليل والنهار فانهم اذا هجعوا ثلثه أو نصفه أو ثلثاه فهذا قليل بالنسبة الى ما لم يهجعوه من الليل والنهار وسواء ناموا بالنهار أو لم يناموا وقد قيل لم يأت عليهم ليلة الا قاموا فيها فالمراد هجوع جميع الليلة وهذا ضعيف لأن هجوع الليل محرم فان صلاة العشاء فرض وقال تعالى { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } {15} { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } {16} { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {17} {السجدة 15-17} وفي حديث معاذ الذي قال فيه يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } {السجدة 16} حتى بلغ { يَعْمَلُونَ } {السجدة 17} ثم قال لا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى قال فأخذ بلسانه فقال اكف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال تعالى { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } {الزمر 9} وقال تعالى { مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } {آل عمران 113} وقال تعالى بعد قوله { أقيم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً } {78} { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا } {79} {الإسراء 78-79} وقال في سورة المزمل { فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا } {المزمل 2} الى قوله { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً } {المزمل 6} واذا نسخ الوجوب بقي الاستحباب قال أحمد وغيره و الناشئة لا تكون الا بعد نوم يقال نشأ اذا قام وقال تعالى { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } {63} { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا } {64} {الفرقان 63-63} وقوله تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا } {23} { فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أياً أو كفوراً } {24} { وَأذْكَرَ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } {25} { وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا } {26} {الإنسان 23-26} فان هذا يتناول صلاة العشاء والوتر وقيام الليل لقوله { وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا } {الإنسان 26} وقوله تعالى { **وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَبِيحًا** صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ } {97} { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } {98} {الحجر 97-98} مطلق لم يخصه بوقت آخر والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً<sup>1</sup>

## الغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 84- 88

قال تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** {آل عمران 85} وقد قال تعالى **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** {الذاريات 56} فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبا للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبهه ومن خضع له ولم يحبه لم يعبهه وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حكيما شجاعا<sup>1</sup>

## العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

قال تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشيته الله والانابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله وذلك إن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** {الذاريات 56} وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** {الأعراف 59} وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ}** {النحل 36} وقال تعالى **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** {الأنبياء 25} وقال تعالى **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}** {الأنبياء 92} كما قال في الآية الأخرى **{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}** {المؤمنون 51} وجعل ذلك لازما لرسوله إلى الموت قال **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى **{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}** {19} **{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}** {20} {الأنبياء 19} وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ}** {الأعراف 206} ودم المستكبرين عنها بقوله وقال **{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}** {غافر 60} ونعت صفة خلقه بالعبودية له فقال تعالى **{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}** {الإنسان 6} <sup>2</sup>

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 32

<sup>2</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 362 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 150-151

## من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة

قال تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} قال النبي صلى الله عليه وسلم أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه فيكون اجتماع قلبه لمعاني القرآن دائما غير منقطع لا يزال عطشاننا طالبا شاربا كما قال تعالى لنبيه **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} وقال الحسن البصري لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلا دون الموت وقد اعتقد بعض الغالطين من هؤلاء ان المعنى اعد ربك حتى تحصل لك المعرفة ثم اترك العبادة وهذا جهل وضلال بأجماع الأمة بل اليقين هنا كاليقين في قوله **{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ }{42}** {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ}{43} {وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}{44} {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}{45} {وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}{46} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}{47} {المدثر 42-47} في الصحيح لما مات عثمان بن مظعون قال النبي صلى الله عليه وسلم أما عثمان فقد أتاه اليقين من ربه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي فأما اليقين الذي هو صفة العبد فذاك قد فعله من حين عبد ربه ولا تصح العبادة إلا به وإن كان له درجات متفاوتة قال تعالى **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** {البقرة 2} الى قوله **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** {البقرة 4} <sup>1</sup>

من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية ومن شابههم من الملاحدة المنتسبين إلى علم او زهد أو تصوف أو تزهد يقول أحدهم ان العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة فاذا حصلت زال عنه التكليف ومن قال هذا فانه كافر مرتد باتفاق أئمة الاسلام فانهم متفقون على أن الأمر والنهي جار على كل بالغ عاقل إلى أن يموت قال تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} قال الحسن البصري لم يجعل الله لعمل المؤمن غاية دون الموت وقرأ هذه الآية <sup>2</sup>

ومن هؤلاء من يحتج بقوله **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} ويقول معناها اعد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة فاذا حصل ذلك سقطت العبادة وربما قال بعضهم اعمل حتى يحصل لك حال فاذا حصل لك حال تصوفى سقطت عنك العبادة وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبة من المعرفة والحال استحل ترك الفرائض وارتكاب المحارم وهذا كفر كما تقدم ومنهم من يظن استغناءه عن النوافل حينئذ وهذا مغبون منقوص جاهل ضال خاسر باعتقاد الاستغناء عن النوافل واستخفافه بها حينئذ بخلاف من تركها معتقدا كمال من فعلها حينئذ معظما لحاله فان هذا ليس مذموما وان كان الفاعل لها مع ذلك أفضل منه أو يكون هذا من المقربين السابقين وهذا من المقتصدین أصحاب اليمين ومن هؤلاء من يظن ان الاستمسك بالشرعية أمرا ونهيا إنما يجب عليه ما لم يحصل له من المعرفة او الحال فاذا حصل له لم يجب عليه حينئذ الاستمسك بالشرعية النبوية بل له حينئذ أن يمشى مع الحقيقة الكونية القدرية أو يفعل بمقتضى ذوقه ووجدته وكشفه ورأيه من غير اعتصام بالكتاب والسنة وهؤلاء منهم من يعاقب بسلب الايمان حتى يصير منقوصا عاجزا محروما ومنهم من يعاقب بسلب الطاعة حتى يصير فاسقا بقصة موسى والخضر فأما استدلالهم بقوله تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} فهي عليهم لا لهم قال الحسن البصري ان الله لم يجعل لعمل المؤمنين اجلا دون الموت وقرأ قوله **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} وذلك ان اليقين هنا الموت وما بعده باتفاق علماء المسلمين وهؤلاء من المستيقنين وذلك مثل قوله **{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ }{42}** {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}{43} {وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}{44} {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}{45} {وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}{46} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}{47} {المدثر 42-47} فهذا قالوه وهم في جهنم واخبروا أنهم كانوا على ما هم عليه من ترك الصلاة والزكاة والتكذيب بالآخرة والخوض مع الخائضين حتى

<sup>1</sup> الاستقامة ج: 1 ص: 418

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 539-540

اتاهم اليقين ومعلوم انهم مع هذا الحال لم يكونوا مؤمنين بذلك فى الدنيا ولم يكونوا مع الذين قال الله فيهم { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } البقرة 4 وإنما اراد بذلك انه اتاهم ما يوعدون وهو اليقين ومنه قول النبى فى الحديث الصحيح لما توفي عثمان بن مظعون وشهدت له بعض النسوة بالجنة فقال لهم النبى وما يدريك انى والله وانا رسول الله ما أدرى ما يفعل بى وقال اما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه أى اتاه ما وعده وهو اليقين و يقين على وزن فعيل سواء كان فعيل بمعنى مفعول أى الموت كالحبيب والنصيح والذبيح أو كان مصدرا وضع موضع المفعول كقوله { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ } لقمان 11 وقوله { أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ } النحل 1 وقوله ضرب الامير وغفر الله لك قيل وقولهم قدرة عظيمة وامثال ذلك فانه كثير فعلى التقديرين المعنى لا يختلف بل اليقين هو ما وعد به العباد من أمر الآخرة وقوله { حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر 99 كقولك يأتيتك ما توعد فأما ان يظن ان المراد اعبدته حتى يحصل لك ايقان ثم لا عبادة عليك فهذا كفر باتفاق أئمة المسلمين ولهذا لما ذكر للجنيدي بن محمد ان قوما يزعمون انهم يصلون من طريق البر إلى ترك العبادات فقال الزنا والسرقه وشرب الخمر خير من قول هؤلاء ولقد صدق الجنيدي رحمه الله فان هذه كبائر وهذا كفر ونفاق والكبائر خير من الكفر والنفاق وما زال أئمة الدين ومشاخه يعظمون النكير على هؤلاء المنافقين وان كانوا من الزهاد العابدين واهل الكشف والتصرف فى الكون وارباب الكلام والنظر فى العلوم فان هذه الأمور قد يكون بعضها فى أهل الكفر والنفاق ومن المشركين وأهل الكتاب وإنما الفاصل بين اهل الجنة وأهل النار الايمان والتقوى الذى هو نعت اولياء الله كما قال { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {63} يونس 61-62<sup>1</sup>

ورسول الله صلى عليه وسلم هو أفضل الخلائق وسيد ولد آدم وله الوسيلة فى المقامات كلها ولم يكن حاله أنه لا يريد شيئا ولا أنه يريد كل واقع كما أنه لم يكن حاله أنه يتبع الهوى بل هو منزّه عن هذا وهذا قال الله تعالى { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ } {3} { إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } {4} { النجم 3-4 } وقال تعالى { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ } الجن 19 وقال تعالى { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا } البقرة 23 وقال { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا } الإسراء 1 والمراد بعبدته عابده المطيع لأمره وإلا فجميع المخلوقين عباد بمعنى أنهم معبدون مخلوقون مدبرون وقد قال الله لنبيه { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر 99 قال الحسن البصرى لم يجعل الله لعمل المؤمن أجلا دون الموت وقد قال الله تعالى له وإنك لعلى خلقا عظيم قال ابن عباس ومن وافقه كابن عيينة وأحمد بن حنبل على دين عظيم و الدين فعل ما أمر به وقالت عائشة كان خلقه القرآن رواه مسلم وقد أخبرت أنه لم يكن يعاقب لنفسه ولا ينتقم لنفسه لكن يعاقب لله وينتقم لله وكذلك أخبر أنس أنه كان يعفو عن حظوظه وأما حدود الله فقد قال والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها أخرجاه فى الصحيحين<sup>2</sup>

## فى إحداهم الصوفية والقرامطة من الكفر ما ليس فى دين اليهود والنصارى ومشركى العرب

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 417-420

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 503-504



وقول من يقول ما ثم عذاب أصلا وإنما هو تخويف لا حقيقة له وهذا من أقوال الملاحدة والكفار وربما احتج بعضهم بقوله { ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ } الزمر 16 فيقال لهذا التخويف إنما يكون تخويفا إذا كان هناك مخوف يمكن وقوعه بالمخوف فإن لم يكن هناك ما يمكن وقوعه إمتنع التخويف لكن يكون حاصله إيهاهم الخائفين بما لا حقيقة له كما توهم الصبى الصغير ومعلوم أن مثل هذا لا يحصل به تخويف للعقلاء المميزين لأنهم إذا علموا أنه ليس هناك شيء مخوف زال الخوف وهذا شبيه بما تقول الملاحدة المتفلسفة والقرامطة ونحوهم من أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم خاطبوا الناس بإظهار أمور من الوعد والوعيد لا حقيقة لها في الباطن وإنما هي أمثال مضروبة لتفهم حال النفس بعد المفارقة وما أظهره لهم من الوعد والوعيد وإن كان لا حقيقة له وإنما يعلق لمصلحتهم في الدنيا إذ كان لا يمكن تقويمهم إلا بهذه الطريقة و هذا القول مع أنه معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل فلو كان الأمر كذلك لكان خواص الرسل الأذكياء يعلمون ذلك وإذا علموه زالت محافظتهم على الأمر والنهي كما يصيب خواص ملاحدة المتفلسفة والقرامطة من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم فإن البارح منهم في العلم والمعرفة يزول عنه عندهم الأمر والنهي وتباح له المحظورات وتسقط عنه الواجبات فتظهر أضعافهم وتتكشف أسرارهم ويعرف عموم الناس حقيقة دينهم الباطن حتى سموهم باطنية لإبطانهم خلاف ما يظهرون فلو كان والعياذ بالله دين الرسل كذلك لكان خواصه قد عرفوه وأظهروا باطنه وكان عند أهل المعرفة والتحقيق من جنس دين الباطنية ومن المعلوم بالإضطرار أن الصحابة الذين كانوا أعلم الناس بباطن الرسول وظاهره وأخبر الناس بمقاصده ومراداته كانوا أعظم الأمة لزوما لطاعة أمره سرا وعلانية ومحافظه على ذلك إلى الموت وكل من كان منهم إليه وبه أخص وبياطنه أعلم كأبي بكر وعمر كانوا أعظمهم لزوما للطاعة سرا وعلانية ومحافظه على أداء الواجب وإجتناب المحرم باطنا وظاهرا وقد أشبه هؤلاء في بعض الأمور ملاحدة المتصوفة الذين يجعلون فعل المأمور وترك المحذور واجبا على السالك حتى يصير عارفا محققا في زعمهم وحينئذ يسقط عنه التكليف ويتأولون على ذلك قوله تعالى { **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** } الحجر 99 زاعمين أن اليقين هو ما يدعونه من المعرفة واليقين هنا الموت وما بعده كما قال تعالى عن أهل النار { **وَكُنَّا نَحُورُ مَعَ الْخَائِضِينَ** } 45 { **وَكُنَّا نَكُذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** } 46 { **حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ** } 47 { **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** } 48 { **المدثر 45-48** قال الحسن البصري إن الله لم يجعل لعباده المؤمنين أجلا دون الموت وتلا هذه الآية ومنه قوله لما توفي عثمان بن مظعون أما عثمان بن مظعون فقد أتاه اليقين من ربه وهؤلاء قد يشهدون القدر أولا وهي الحقيقة الكونية ويظنون أن غاية العارف أن يشهد القدر ويفنى عن هذا الشهود وذلك المشهد لا تمييز فيه بين المأمور والمحذور ومحوبات الله ومكروهاته وأوليائه وأعدائه وقد يقول أحدهم العارف شهد أولا الطاعة والمعصية ثم شهد طاعة بلا معصية يريد بذلك طاعة القدر كقول بعض شيوخهم أنا كافر برب يعصي وقيل له عن بعض الظالمين هذا ماله حرام فقال إن كان عصي الأمر فقد أطاع الإرادة ثم ينتقلون إلى المشهد الثالث لا طاعة ولا معصية وهو مشهد أهل الوحدة القائلين بوحدة الوجود وهذا غاية إلحاد المبتدعة جهمية الصوفية كما أن القرمطة آخر إلحاد الشيعة وكلا الإلحادين يتقاربان وفيها من الكفر ما ليس في دين اليهود والنصارى ومشركي العرب والله أعلم<sup>1</sup>

## القرآن بين النعيم والعذاب في البرزخ

أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن وبين النعيم والعذاب في البرزخ وهو سبحانه تعالى في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى وأن الناس يكونون أزواجا ثلاثة كما قال تعالى ( **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** } 1 { **لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ** } 2 { **خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ** } 3 { **إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا** } 4 { **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا** } 5 { **فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا** } 6 { **وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً** } 7 { **الواقعة 1-7** ثم إنه في آخرها القيامة الصغرى بالموت وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت فقال { **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ** } 83 { **وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ** } 84 { **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ** } 85 { **تُبْصِرُونَ** } 85 { **فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ** } 86 { **تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } 87 { **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ** } 88 {

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 502

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ {89} وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {90} فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {91} وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ {92} فَنَزَلُ مِنْ حَمِيمٍ {93} وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ {94} إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ {95} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {96} الواقعة 83-96 فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم وأنهم لا يمكنهم رجوعها وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين حينئذ وفي سورة القيامة ذكر أيضا القيامتين فقال ( لَا أَقْسِمُ بِبَوْمِ الْقِيَامَةِ {1} القيامة 1 ثم قال { وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ {2} القيامة 2 وهي نفس الإنسان وقد قيل إن النفس تكون لوامة وغير لوامة وليس كذلك بل نفس كل إنسان لوامة فإنه ليس بشيء إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا وأما في الآخرة فهذا إثبات النفس ثم ذكر معاد البدن فقال { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ {3} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِيَّ بَنَانَهُ {4} بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ {5} يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ {6} القيامة 3-6 ووصف حال القيامة إلى قوله { تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ {25} القيامة 25 ثم ذكر الموت فقال { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ {26} القيامة 26 وهذا إثبات للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال هناك { بَلَغَتِ الْحُقُومَ { الواقعة 83 والتراقي متصلة بالحلقوم ثم قال { وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ {27} القيامة 27 يرقبها وقيل من صاعد يصعد بها إلى الله والاول أظهر لان هذا قبل الموت فإنه قال { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ {28} القيامة 28 فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقيا يرقبه وأيضا فصعدوا لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها فإن الله ملائكة يفعلون ما يؤمرون والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء روحاني ولهذا قال النبي في صفة المتوكلين لا يسترقون والمراد أنه يخاف الموت ويرجو الحياة بالراقي ولهذا قال { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ {28} القيامة 28 ثم قال { وَالتَّتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ {29} إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ {30} القيامة 29-30 فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها والعرض القائم بغيره لا يساق ولا بدن الميت فهذا نص في إثبات نفس تفارق البدن تساق إلى ربها كما نطقت بذلك الأحاديث المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر ثم ذكر بعد هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد الذي قدمه { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {31} القيامة 31 وليس المراد أن كل نفس من هذه النفوس كذلك وكذلك سورة ق هي في ذكر وعيد القيامة ومع هذا قال فيها { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ {ق19} ثم قال بعد ذلك { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ {ق20} فذكر القيامتين الصغرى والكبرى وقوله { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ {ق19} أي جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب وهو الحق الذي أخبرت به الرسل ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت فإن هذا مشهور لم ينازع فيه ولم يقل أحد إن الموت باطل حتى يقال جاءت بالحق وقوله { ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ {ق19} فلا إنسان وإن كره الموت فهو يعلم أنه تلاقية ملائكته وهذا كقوله { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ {الحجر 99} واليقين ما بعد الموت كما قال النبي أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه وإلا فنفس الموت مجرد عما بعده أمر مشهور لم ينازع فيه احد حتى يسمى يقينا وذكر عذاب القيامة والبرزخ معا في غير موضع ذكره في قصة آل فرعون فقال وحاق بال فرعون سوء العذاب { وَحَاقَ بِالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ {45} النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ {46} غافر 45-46<sup>1</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ {85} إِنْ رَبِّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {86} الحجر 85-86 عليم منزه عن الجهل<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 263-266

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

2- قال تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** {الذاريات 56} وفي قوله **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}** {النساء 36} وقوله **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}** {البقرة 21} وقوله **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}** {الزمر 2} **{قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}** {الزمر 14} وقوله **{أَفَعَبِّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ}** {الزمر 64} ثم قد يقرب بها اسم آخر كما في قوله **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** {الفاحة 5} وقوله **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** {هود 123} وقول نوح **{اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ}** {نوح 3} <sup>1</sup>

3- قال تعالى **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} قال الحسن البصرى ان الله لم يجعل لعمل المؤمنين اجلا دون الموت وقرأ قوله **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} وذلك ان اليقين هنا الموت وما بعده باتفاق علماء المسلمين وهؤلاء من المستيقنين وذلك مثل قوله **{مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ}** {42} **{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ}** {43} **{وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ}** {44} **{وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}** {45} **{وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}** {46} **{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}** {47} {المدثر 42-47} فهذا قالوه وهم في جهنم واخبروا أنهم كانوا على ما هم عليه من ترك الصلاة والزكاة والتكذيب بالآخرة والخوض مع الخائضين حتى اتاهم اليقين ومعلوم أنهم مع هذا الحال لم يكونوا مؤمنين بذلك في الدنيا ولم يكونوا مع الذين قال الله فيهم **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** {البقرة 4} وإنما اراد بذلك انه اتاهم ما يوعدون وهو اليقين ومنه قول النبي في الحديث الصحيح لما توفي عثمان بن مظعون وشهدت له بعض النسوة بالجنة فقال لهم النبي وما يدريك اني والله وانا رسول الله ما أدري ما يفعل بي وقال اما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه أى اتاه ما وعده وهو اليقين و يقين على وزن فعيل سواء كان فعيل بمعنى مفعول أى الموت كالحبيب والنصيح والذبيح أو كان مصدرا وضع موضع المفعول كقوله **{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ}** {لقمان 11} وقوله **{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ}** {النحل 1} وقوله ضرب الامير وغفر الله لك قيل وقولهم قدرة عظيمة وامثال ذلك فانه كثير فعلى التقديرين المعنى لا يختلف بل اليقين هو ما وعد به العباد من أمر الآخرة وقوله **{حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** {الحجر 99} كقولك يأتيتك ما توعد <sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 417-420

{ رَبِّ

أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ  
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي  
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {الأحقاف} 15  
الحمد لله رب العالمين

###